

محمود علي

حياة

أمر المؤمنين خديجة

عليها السلام

دار الحديث
بيروت - لبنان

حياة
أم المؤمنين خديجة
عليها السلام

محمود سلبی

حَیَاةُ
أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ حَیَاةِ
الْكَافِرِينَ

عَلَيْهَا السَّلَام

وَالزُّمَيْدِ
بِجَدَّتْ

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الثانية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

اللهم لا تدرك

اللام . . منك ... وإليك

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ..

والصلاة والسلام على خاتم النبيين ..

وبعد ..

هذه « حياة أم المؤمنين خديجة » ، رضي الله عنها وأرضاها ..

أول من آمن على الإطلاق ..

وأفضل نساء النبي .. صلى الله عليه وسلم .

وأم فاطمة الزهراء ، عليها السلام ..

وأم المؤمنين بعد ذلك !!

أنعم الله على بشرف الكتابة عنها ..

بعد أن كتبت « حياة مريم » .. و « حياة فاطمة » . و « حياة
اسية » .. لتتم دائرة الكاملات . الوارد ذكرهن في قوله .. صلى
الله عليه وسلم :

« حسبك من نساء العالمين .. »

« مريم ابنة عمران .. »

« وخديجة بنت خويلد .. »

« وفاطمة بنت محمد .. »

« وأسية امرأة فرعون .. »

وها هي حياتها الشريفة .. تتلأ أمام عينيك ..
اللهم .. صلِّ .. وسلِّم .. وبارك .. على محمد .. وعلى أزواجه
الآطهار !!

محمود شلبي

١٤٠٨ هـ

١٩٨٨ م

هذه ..

هي

خديجة ؟!

حسبك من نساء العالمين ١٢

« عن أنس رضي الله عنه ..

« أن النبي .. صلى الله عليه وسلم .. قال :

« حسبك من نساء العالمين ..

« مريم ابنة عمران ..

« وخديجة بنت خويلد ..

« وفاطمة بنت محمد ..

« وآسية امرأة فرعون . »

[أخرجه الترمذي]

خير نساها !؟

« عن عليّ .. »

« سمعت رسول الله .. ﷺ .. يقول :

« خير نساها مريم بنت عمران .. »

« وخير نساها خديجة بنت خويلد .. » .. »

[أخرجه مسلم]

خيرُ نساءها خديجةُ ١٢

« عن عليٍّ .. رضي الله عنه ..

« عن النبي .. ﷺ .. قال :

« خيرُ نساءها مريمُ ..

« وخيرُ نساءها خديجةُ . »

[أخرجه البخاري]

ما غُرْتُ على امرأةٍ .. ما غُرْتُ على خديجة؟!

» عن عائشة .. رضي الله عنها .. قالت :

« ما غُرْتُ على امرأةٍ .. ما غُرْتُ على خديجة ..

« من كثرةِ ذكرِ رسولِ اللهِ .. ﷺ .. إياها ..

« قالت : وتزوجني بعدها بثلاثِ سنين ..

« وأمرهُ ربُّهُ عزَّ وجلَّ ..

« أو جهزهُ .. عليه السلامُ ..

« أن يُبَشِّرَها ببَيْتٍ في الجنةِ من قصَبِ ..

[أخرجه البخاري]

كأنه لم يكن في الدنيا .. امرأة إلا خديجة ١٢

« عن عائشة رضي الله عنها .. قالت :

« ما غرتُ على أحدٍ من نساء النبي ﷺ .. ما غرتُ
على خديجة ..

: وما رأيتها ..

« ولكن كان النبي ﷺ .. 'يكثرُ ذكرَها ..

« وربما ذبحَ الشاة .. ثم يقطعُها أعضاء ..

« ثم يبعثُها في صدائِقِ خديجة ..

« فربما قلتُ له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ..

« فيقول : إنها كانت وكانت .. وكان لي منها ولد .. »

[أخرجه البخاري]

هل بشر النبي ﷺ .. خديجة ١٢

« عن اسماعيل قال :

« قلت لعبد الله بن أبي أوفى .. رضي الله عنهما : بشر
النبي ﷺ .. خديجة ؟
« قال : نعم . ببیت من قصب^(١) .. لا سخب فيه
ولا نصب . »

[أخرجه البخاري]

...

(١) قال جمهور العلماء : المراد به قصب اللؤلؤ الجوف كالقصر
المنيف .. وقيل : قصب من ذهب منظوم بالجواهر قال أهل اللغة :
القصب من الجواهر ما استطال منه في تجويف .. ويقال لكل مجوف
قصب .. والمراد بالبيت هنا القصر

جبريل .. عليه السلام .. يقول :
فاقرأ عليها السلام .. من ربها .. ومني ؟

« عن أبي هريرة .. رضي الله عنه . قال .
« أتى جبريل .. النبي .. ﷺ .. فقال .
« يا رسول الله .. هذه خديجة .. قد أتت معها إناء فيه
إدام .. أو طعام .. أو شراب ..
« فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام ..
« من ربها ..
« ومني ..
« وبشئها ببئس في الجنة .. من قصب .. لا سخب
فيه ولا نصب .. »

[أخرجه البخاري]

« قد أتتك ، أي توجهت إليك ..

« فيه إدام أو طعام أو شراب ، شك من الراوي ..

« فاقراً عليها السلام ، أي سلّم عليها من ربها ومني .. فإن قلت :
كيف ردّت الجواب ؟

« قلت : بيّن ذلك الطبراني في روايته

« فقالت : هو السلام .. ومنه السلام .. وعلى جبريل السلام ، ١١
قلت : وعليها السلام ؟

خديجة تقول :

وعليك يا رسول الله السلام ؟

« وللنسائي - من رواية أنس - قال :

« قال جبريل للنبي .. عليه السلام : إن الله يقرئ خديجة السلام ..

« يعني : فأخبرها ..

« فقالت : إن الله هو السلام ..

: وعلى جبريل السلام ..

: وعليك يا رسول الله السلام .. ورحمة الله وبركاته ..

« وفي رواية ابن السني زيادة وهي قولها :

وعلى من سمع السلام .. إلا الشيطان ..

« فإن قلت : لما ردتّ الجواب بما ذكرنا .. هل كان جبريل

عليه السلام حاضراً ؟

« قلت : بلى .. كان حاضراً ..

« فردّت عليه .. وردّت على النبي .. صلى الله تعالى عليه
وسلم .. مرتين .. ثم أخرجت الشيطان من سمع لأنه لا يستحق الدعاء
بذلك . »

[شرح البخاري]

عليها السلام ۱۱

عائشة قالت عنها ؟

« عن عائشة قالت :

« بَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ..

« بَيْتَ فِي الْجَنَّةِ .. »

[أخرجه مسلم]

أي : بيت من قصب .. أي من اللؤلؤ المجوف .. أو قصب
من ذهب منظوم بالجوهر !

إني قد رزقتُ حبّها ١٢

« عن عائشة قالت : ما غيّرتُ على نساءِ النبي ﷺ ..
إلا على خديجة .. »

« واني لم أدركها .. »

« قالت : وكان رسولُ الله ﷺ .. إذا ذبح الغنّة
فيقول : أرسلوا بها إلى أسدقاءِ خديجة .. »

« قالت : فأغضبته يوماً .. فقلت : خديجة .. »

« فقال رسولُ الله ﷺ :

« إني قد رزقتُ حبّها .. »

[أخرجه مسلم]

لم يتزوج علي خديجة حتى ماتت^{١٢}

« عن عائشة قالت :

« لم يتزوج النبي ﷺ علي خديجة .. حتى ماتت .. »

[أخرجه مسلم]

عندما استأذنت أخت خديجة ..

على رسول الله .. ﷺ ١٩

« عن عائشة قالت »

« استأذنتُ عائَةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ .. أختَ خديجةَ .. على

رسولِ الله .. ﷺ »

« فعرّفتُ استئذانَ خديجةَ .. فارتاحَ لذلك ..

« فقالَ : اللهمَّ عائَةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ ..

« ففِرْتُ .. فقلتُ : وما تذكرُ من عجوزٍ من عجمائز

قريشٍ .. هراءُ الشُّدَقِيِّينَ .. هلْ كُنتِ في الدهرِ .. فأبدلكَ

اللهُ خيراً منها .. »

[أخرجه مسلم]

« فارتاحَ لذلك » أي هسّ لجيئها وُسراً لها .. لتذكره بهيئة

خديجة وأيامها ..

« وفي هذا كله دليل لحسن المهد .. وحفظ الود .. ورعاية
حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته .. وإكرام أهل ذلك
الصاحب ..

« حرّاء الشدقين » معناه عجوز كبيرة جداً .. حتى سقطت
أسنانها من الكبر .. ولم يبق لشدقها نيس شيء من الأسنان ..
لما بقي فيه حمرة لثاتها ..

« قال العلماء : الغيرة مسامح للنساء فيها .. لا عقوبة عليهن
فيها .. لما جبلن عليه من ذلك .. ولهذا لم تزجر عائشة عنها ..
« قال القاضي : وعندي أن ذلك جرى من عسائشة لصغر
سنها وأول شبيبته .. »

بَشَرَهَا ١٢

« عن عائشة قالت :

« ما حَسَدْتُ أَحَدًا .. ما حَسَدْتُ خَدِيجَةَ ..

« وما تُرَوِّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. إلا هُنَا ما مَاتَ ..

« وذلكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .. بَشَرَهَا بِبَيْتٍ فِي

الْجَنَّةِ .. مَنْ قَصَبَ .. لَا سَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ . »

[أخرجه الترمذي]

وقال : هذا حديث حسنٌ ..

« مَنْ قَصَبَ .. قال : إنا يعني به قَصَبَ اللؤلؤ .. »

وقال ابن العربي :

« كان النبي عليه السلام .. قد انتفع بخديجة .. برأيها ومالها
ونصرها .. فرعاها حية وميتة .. وبرها موجودة ومعدومة ..
وأتى بعد موتها ما كان يعلم أنه يسرها لو كان في حياتها ..

« وقد بشرها النبي عليه السلام ببيت في الجنة من قصب لا
صخب فيه ولا نصب .. معناه عار عن الاذية .. ويريد به قصب
اللؤلؤ .. مركباً عن الذهب والفضة ..

« وهي أفضل نساء الأمة .. من غير خلاف .. » ١١

خيرُ نساءها خديجةُ ١٩

« عن عبدِ الله بنِ جعفرٍ قال :

« سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ يقولُ :

« سمعتُ رسولَ الله ﷺ .. يقولُ :

« خيرُ نساءها خديجةُ بنتُ 'خويلدٍ' ..

« وخيرُ نساءها مريمُ ابنتُ 'عمرانَ' . »

[أخرجه الترمذي]

وقال : « وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ » .

وقال ابنُ العربي :

« خيرُ نساءِ قريشٍ خديجةُ .. وبعدها فاطمة .. وعائشة » ١١

أمنت بي إذ كفر الناس ١٢

« عن عائشة :

« كان رسول الله .. ﷺ .. لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة .. فيحسن الثناء عليها ..

« فاذكرتني الفيرة فقلت : وهل كانت إلا امرأة عجوزا .. فقد أبدلك الله خيراً منها ؟ »

« فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب .. ثم قال : لا .. والله ما أبدلني الله خيراً منها .. أمنت بي إذ كفر الناس .. وصدقتني إذ كذبني الناس .. وواستني في مالها إذ حرمني الناس .. ورزقني منها الولد إذ حرمني أولاد النساء .. »
« فقالت عائشة : فقلت لي نفسي : لا أذكرها بمسيئة أبداً .. »

[ابن عبد البر : الاستيعاب : ترجمة خديجة ..
وكذلك ابن حجر في الإصابة .. والسمط الثمين .]

افضل نساء اهل الجنة ١٢

وأخرج أحمد .. وأبو حاتم .. رواية أبي هريرة .. عن رسول الله .. ﷺ .. أنه قال :

« افضل نساء اهل الجنة ..

« خديجة بنت خويلد ..

« وفاطمة بنت محمد ..

« ومريم ابنة عمران ..

« وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون ، ..

[الوفا بأحوال المصطفى]

سيدة نساء العالمين ؟

وروى ابن عباس ..

أن رسول الله .. ﷺ .. قال :

« سيدة نساء العالمين ..

« مريم ..

« ثم فاطمة ..

« ثم خديجة ..

« ثم آسية .. »

[بحب الدين الطبري .. السمط
الشمين في مناقب أمهات المؤمنين .]



وبعد .. كانت هذه بعض مناقب .. ام المؤمنين .. خديجة بنت

خويلد .. عليها السلام !!

الخطوط العريضة ..

من حياة أم المؤمنين ..

١ - ماذا قبل البعثة ؟!

متى ولد ؟

يوم الاثنين .. من شهر ربيع الاول .. في الثاني عشر من ذلك الشهر .

وضعته أشرف عقيلة في قريش ، آمنة بنت وهب .
وضعته يتيماً !

لقد توفي أبوه ، عبدالله بن عبد المطلب ، وهو جنين في بطن أمه !!

ذلك أن عبدالله خرج إلى الشام ، إلى غزة ، في عير من عيران قريش ، يحملونه تجارات ، ففرغوا من تجارتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة .. وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض . فقال : اتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار . فأقام عندهم مريضاً شهراً .

ومضى أصحابه، فقدموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن ابنه
عبدالله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بني النجار ، وهو مريض .
فبعث اليه عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفي
ودفن في دار النابغة .

فرجع إلى أبيه فـأخبره ، فحزن عليه عبد المطلب وإخوته
وأخواته حزناً شديداً ، ورسول الله ﷺ يومئذ جنين ، ولعبد الله
ابن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة .
لقد توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه .. وهذا أبلغ اليتيم
وأعلى مراتبه .

وكان ذلك أول بلاء يواجهه الطفل الوليد .. وإن كان لا يدري
شيئاً عن تلك المعاني .. إلا أن المقادير كانت تدري ، وكانت تؤهله
لأمر عظيم !

والهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً .. ليلتقي الاسم والفعل ،
ويتطابق الاسم والمسمى ، في الصورة والمعنى .

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

من لليتيم ؟

عن حليلة بنت الحارث أنها قالت : قدمت مكة في نسوة من بني سعد نلتمس بها الرضعاء ، في سنة شهباء ، فقدمت على أتان لي قراء كانت أذمت^(١) بالركب ، ومعني صبي لنا ، وشارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلتنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد في ثديي ما يغنيه ، ولا في شارفنا ما يغذيه ، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج .

وخرجت على أتاني تلك ، فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ، ضعفاً وعجزاً ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل إنه يتيم تركناه . قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد ، فاما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا ؟

فوالله ما بقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري ،

(١) أي : جاءت بما تدم عليه .

فلما لم نجد غيره ، وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجي الحارث بن عبد
العزى ، والله لاني لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معي
رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاآخذنه .

فقال : لا عليك أن تفعلي ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه
خيراً .

فذهبت ، فاخذته ، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره ، فما
هو إلا أن أخذته ، فجئت به رحلي ، فاقبل عليه ثدياي بما شاء
من لبن ! فشرب حتى روي ، وشرب أخوه حتى روي !
وقام صاحبي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلب ما
شرب ، وشربت حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة ..

فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليلة .. والله لاني لأراك قد
أخذت نسمة مباركة ، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة
حين أخذناه ؟

فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً ، ثم خرجنا راجعين إلى
بلادنا ، فوالله لقطعت أثافي بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ،
حتى أن صواحي ليقلن : ويلك يا بنت أبي دؤيب ، هذه أتانك
التي خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، والله إنها هي فقلن :
والله إن لها شأنًا .

حتى قدمنا أرض بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله
أجذب منها ، فإن كانت غنمي لتسرح ، ثم تروح شباعاً لبناً ،
فتحلب ما شئنا ، وما حوالينا أو حولنا احد تبض له شاة بقطرة
لبن : وإن اغنامهم لتروح جياً ..

حتى إنهم ليقولون لرعاتهم : ويحكم ، أنظروا حيث تسرح غنم
بنت أبي ذؤيب ، فاسرحوا معهم .

فيسرحون مع غنمي حيث تسرح ، فتروح اغنامهم جياً
ما فيها قطرة لبن ! وتروح أغنامي شباعاً لبناً ، تحلب ما شئنا .

فلم يزل الله يرينا البركة يتعرفها حتى بلغ سنتين ، فكان
يشب شباباً لا تشبه الغلمان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان
غلاماً يقوى على الأكل .

فقدمنا به على أمه ، ونحن أضن شيء به ، مما رأينا فيه من
البركة . فلما رآته أمه ، قلت لها : دعينا نرجع لابننا هذه السنة
الأخرى ، فإننا نخشى عليه وباء مكة . فوالله ما زلنا بها حتى
قالت : نعم ..

عودة الطفل الى امه

وعادت حليلة بالصبي حيث كانت تقيم .. ثم اعادته إلى أمه
بعد شهرين او ثلاثة ..
فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنه بنت وهب ، وجده
عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ، ينبتة الله نباتاً حسناً ، لما
يريد به من كرامته .

ولكن الأم تموت !

فلما بلغ ست سنين ..
ماذا حدث لليثيم الصغير ؟
قدمت آمنه بنت وهب به على أخواله من بني النجار بالمدينة ،
تزيّره إياهم ..
ثم ماذا ؟

ثم ماتت أمه وهي راجعة به إلى مكة ، ماتت بالأبواء .
وتوفيت أمه آمنة بنت وهب ، وهو ابن ست سنين !
وصار الصبي اليتيم لطيفاً .. فاقداً لأبويه !

عبد المطلب يكفله

وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم ، بعد
موت أمه آمنة بنت وهب .

فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، وكان بنوه
يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه أحد
من بنيهِ إجلالاً له .

فكان رسول الله ﷺ يأتي ، وهو غلام قوي ، حتى يجلس
عليه .

فياخذه اعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب ، إذا رأى
ذلك منهم : دعوا ابني فوالله إن له لشأناً .

ثم يجلسه معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما
يراه يصنع

ورق عبد المطلب عليه رقّة لم يرقها على ولده !
وكان يقربه منه ، ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا ، وإذا
نام .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، اوصى أبا طالب بحفظ
رسول الله ﷺ ، وحياطته .

ثم مات عبد المطلب ، ودفن بالحجون .
وكان ﷺ وقتئذ ابن ثمان سنين .

أبو طالب يكفله

فلما توفي عبد المطلب ، قبض أبو طالب رسول الله ﷺ ،
فكان يكون معه .

وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبه حباً شديداً ، لا
يحبه ولده !

وكان لا ينام إلا إلى جنبه !
ويخرج فيخرج معه .

وكذلك جعل الله حب رسول الله ﷺ شيئاً في شغاف
قلوبهم ، واللقى عليه محبة منه ، فما رآه عبد المطلب إلا أحبه ،
وما رآه أبو طالب من بعده إلا أحبه حباً شديداً .

بجيري الراهب

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام .
فلما تهيأ للرحيل ، واجمع المسير ، صَبَّ^(١) به رسول الله ﷺ ،
فرقَّ له ، وقال أبو طالب : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني
ولا أفارقه أبداً .

فخرج به معه ، فلما نزل اركب بصرى من أرض الشام ،
وبها راهب يقال له بجيري في صومعة له ، وكان إليه علم أهل
النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب إليه ، يصير
علمهم عن كتاب فيها ، يتوارثونه كابراً عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببجيري ، وكانوا كثيراً ما يرون به قبل

(١) صَبَّ به : اشتد ميله إليه ، ورق قلبه له .

ذلك ، فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته : يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب ، حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم .

ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت^(١) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بحيري نزل من صومعته ، ثم أرسل اليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فإنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرکم .

قال له رجل منهم : والله ، يا بحيري ، إن لك لشأناً اليوم ، ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً !! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيري : صدقت ، قد كان ما نقول ، ولكنكم ضيف^٢ وقد أحببت أن أكرمكم واصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلکم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم ،

(١) تهصرت . مالت وتدلت .

لحادثة سنة ، وقد كان لرسول الله ﷺ يومئذ من العمر اثنتا عشرة سنة ، تخلف في رحال القوم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيري في القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده قال : يا معشر قريش ، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي .

قالوا له : يا بحيري ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له ان ياتيك إلا غلاماً وهو أحدث القوم سنّاً ، فتخلف في رحالهم .

فقال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن كان كلؤم بنا أن يتخلف ابن عبدالله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام اليه فاحتضنه واجلسه مع القوم .

فلما رآه بحيري جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى اشيائه من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته .

حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام اليه بحيري فقال له : يا غلام ، اسالك بحق اللات والعزى الا ما أخبرني عما أسالك عنه ؟

ولمّا قال له بحيري ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بها .

فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : ' لا تسألني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط ' بغضها ' .

فقال بحيري : فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه ؟

فقال له : « سلني عما بدا لك » .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيري من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

فلما فرغ اقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟

قال : ابني .

فقال له بحيري : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن اخي .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات وأمه حُبلى به .

قال : صدقت .. فارجع بابن اخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رآوه وعرفوا ما عرفت كَيْبُغْتَهُ شراً .. فإنه

كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فاسرع به إلى بلاده .
فخرج به عمه ابو طالب سريعا ، حتى أقدمه مكة ، حين فرغ
من تجارته بالشام .

الامين

ولقد شب رسول الله ﷺ تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه
من اقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ
أن كان رجلا افضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم
حسبا ، وأحسبهم جوارا ، وأعظمهم حملا ، وأصدقهم حديثا ،
وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال
تنزها وتكرما ، حتى ما اسمه في قومه إلا « الأمين » لما جمع الله فيه
من الأمور الصالحة .

يشهد حرب الفجار

فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة ، هاجت حرب الفجار

بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان .
وكان الذي حاجها ان عُروة أجار لطيمة^(١) للنعمان بن المنذر .
فقال له البراء بن قيس : أتجيرها على كنانة ؟
قال : نعم .. وعلى الخلق كله .

فخرج فيها عُروة ، وخرج البراء يطلب غفلته ، حتى إذا
كان بالعالية غفل عروة ، فوثب عليه البراء ، فقتله في الشهر
الحرام ، فلذلك سمي الفجار ، لأنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا
فيه جميعاً .

فأتى قريشا فقال : إن البراء قد قتل عُروة ، وهم في الشهر
الحرام بمكاف .

فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر ، فأتبعوهم ،
فأدركوهم قبل ان يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا
الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن .

ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً ، والقوم متساندون - أي ليس
لهم أمير واحد يجمعهم - على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس

(١) اللطيمة : الجمال التي لحمل المسك . وإجارتها : أن يكون لها
جاراً فيمنع التمدي عليها .

منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .
وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، أخرجه
أعمامه معهم .

وقال رسول الله ﷺ :
« كُنتُ الْبَيْتُ عَلَى أَعْمَامِي ، .. »
أي أرد عنهم نبيل عدوهم إذا رموهم بها .

يتزوج

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة
بنت 'خويلد' .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستاجر الرجال
في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم .
وكان قريش قوما تجارا .

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها ، من صدق حديثه ،
وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن

يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له مَيْسَرَةٌ ، فقبله رسول الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها مَيْسَرَةٌ ، حتى قدم الشام .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة .

وحدثها ميسرة عن شمائله ومكارمه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة .

فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا ابن عم ، إني قد رغبتُ فيك ، لقرابتك ، وشرفك في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

ثم عرضت عليه نفسها .

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً .

كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه معه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها .

وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة .
وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يتزوج عليها
غيرها ، حتى ماتت رضي الله عنها .
فولدت لرسول الله ﷺ ولداً ، كلهم إلا إبراهيم .
ولدت له القاسم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورقية ، وأم
كلثوم ، وفاطمة .
وأكبر بنيه القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأكبر بناته رقية ،
ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .
فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته
فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن ، وهاجرن معه ﷺ .
وأما إبراهيم فأمه مصرية ، التي أهداها إليه المقوقس صاحب
اسكندرية .
وكان عمر خديجة حين تزوجها رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين
سنة ، وقيل خمساً وعشرين سنة .

يحتكمون اليه

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش
لبنيان الكعبة .

فلما تم لهم هدمها ، جمعت القبائل من قريش الحجارة لبنائها ،
كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها ، حتى بلغ البنيان موضع الحجر
الأسود ، فاختصموا فيه .

كل قبيلة تريد ان ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا
وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم لأنهم اجتمعوا
في المسجد وتشاوروا ، وتناصفوا .

فقال أبو أمية بن المغيرة ، وكان عامشذ أسنً قريش كلها : يا
معشر قريش اجعلوا بينكم ، فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من
باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه .. ففعلوا .

فكان أول داخل رسول الله ﷺ .

فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .

فلما انتهى اليه اخبروه الخبر .

فقال ﷺ : « هَلُمُّ إِلَى كَوْنَا » فأتى به ، فآخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لَتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا ، ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي « الأمين » .



وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله إلى الناس كافة .

حياة هادئة صافية .

فهو ابن الصحراء ، نشأ فيها أصولاً وفروعاً .

والصحراء تطبع أهلها بالصفاء ، وتغرس في أبنائها حب الحرية ، وحب الشجاعة ، وحب الكرم ، وحب السخاء .

هذا من ناحية البيئة التي نشأ فيها .

أما عن السلالة فهو ابن خليل الله ، ابن إسماعيل ذبيح الله ،

ابن قريش سادة العرب ، ابن بني هاشم سادة قريش .
ومتى اجتمع للانسان كرم الاصول ، وكرم المنبت ، فهو الشجرة
الطيبة في الأرض الطيبة .
ولقد كان رسول الله ﷺ قبل بعثته ، يُصنع صناعة خاصة على
عين ربه عز وجل .
فما من شيء يؤدي إلى جماله وكاله إلا أخذ به ربه اليه .
وما من شيء يقربه من الإنسانية ، ويباعده من الكبر والجبروت
إلا سلك الله به اليه سبيلاً .
هذا ابوه يموت وهو جنين في بطن امه .
ثم هذه أمه تموت وهو ابن ست سنين .
فيجتمع عليه من فقده وموتها يتمان اليان .
والنفس إذ تحزن تفكر ويتعمق تفكيرها ، فتتهدي من حزنها
إلى حقائق كانت عنها لاهية .
ليس هذا وحده ، وإنما هناك بعد ذلك موت جده عيد
الطلب .. فما بلغ ﷺ ثماني سنين حتى ذهب عبد المطلب إلى ربه .
ففقده محمد ﷺ بموته جداراً ضخماً كان يستند بظهره اليه .
ولم يقف البلاء برسول الله ﷺ عند ذلك ، وإنما ساقه القدر إلى

كفالة عمه أبي طالب الرجل الفقير ذي الميل !

فتالم ﷺ ، وتعلم ، ولكنه لم يتكلم .

تعلم ان في الحياة آلاماً لا يحترق بنارها إلا من اصطلاها
وعانها .

وأن فيها ظروفًا هي اشق على النفس من لقاء الموت .

ولقد كان لزاماً ، وحتمًا مقضيا ، ان يمر محمد ﷺ بتلك
التجارب .

وكان ذلك هو التمهيد لبناء إنسانيته الأولى قبل النبوة .

القطوط المريضة ..

من حياة أم المؤمنين ..

٢ - البعثة !؟

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة ، بعثه الله تعالى رحمة
للعالمين ، وكافة للناس بشيراً .

وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله
بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه .
وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فادّوا
من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَتْلُوهُنَّ بِهِ
وَلَتَعْلَمُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾

أي : ثقل ما حملتكم من عهدي ..

﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

(آل عمران : ٨١)

فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن

خالفه ، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين
الكتابين .

بدء الوحي

كان أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من النبوة ، الرؤيا
الصادقة .

لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق
الصبح .

وحبب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من
أن يخلو وحده .

وكان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تبعد عنه البيوت ، ويفضي
إلى المواضع الخفية بين جبال مكة ، ويطون أوديتها ، فلا
ير رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك
يا رسول الله .

فيلتفت رسول الله ﷺ حوله ، وعن يمينه ، وشماله ، وخلفه ،
فلا يرى إلا الشجر والحجارة .

فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن
يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في
شهر رمضان .

وكان رسول الله ﷺ يعتكف في حراء من كل سنة شهراً .
وكان ذلك مما تتعبد به قريش في الجاهلية .

فكان رسول الله ﷺ يعتكف ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم
من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك ، كان
أول ما يبدأ به - إذا ما انصرف من معتكفه - الكعبة ، قبل
أن يدخل بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من
كرامته ، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر
رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء ، كما كان يخرج
لمعتكفه ..

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد
بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ :

فجاءني جبريلٌ وأنا نائمٌ بنمطٍ من ديباجٍ فيه كتابٌ ، فقال :
اقرأ ، قال : قلت : ما اقرأ ، قال : ففتنني^(١) به حتى
ظننتُ انه الموت ، ثم ارسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما
اقرأ ، قال : ففتنني به حتى ظننتُ انه الموت ، ثم ارسلني فقال :
اقرأ ، قال : قلت : ماذا اقرأ ؟ قال : ففتنني به حتى ظننتُ انه
الموت ، ثم ارسلني فقال : اقرأ ، قال : فقلت : ماذا اقرأ - ما
اقول ذلك إلا افتداء منه ان يعودَ لي بمثلِ ما صنع بي فقال :
﴿ اقرأ ﴾ ، باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علقٍ *
اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان
ما لم يعلم ﴿ . (العلق : ١ - ٥)

قال فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عني ..

وهبت من نومي فكانما كتبتُ في قلبي كتاباً ، قال : فخرجت
حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبلِ سمعت صوتاً من السماء يقول :
يا محمدُ ، أنت رسولُ الله ، وأنا جبريلُ ، قال : فرفعتُ رأسي
إلى السماءِ أنظُرُ فإذا جبريلُ في صورة رجلٍ صافٍ قدميه في

(١) غتنني : عصفني عصفاً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما
يحدث من يغمس في الماء قهراً .

أفق السماء ، ويقول : يا محمد ، انت رسول الله ، وأنا جبريل ،
قال : فوقفتُ انظر اليه ، فما اتقدّمُ وما أتأخرُ ، وجعلتُ أصرف
وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظرُ في ناحيةٍ منها إلا
رأيتَه كذلك ، فما زلت واقفاً ما أتقدمُ أمامي وما أراجعُ ورائي ،
حتى بعثتُ خديجةَ رُسُلها في طلي فبلغوا أعلى مكةَ ورجعوا
اليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني ، وانصرفت
راجعاً إلى اهلي ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذهما
مضيفاً^(١) اليها ، فقالت : يا ابا القاسم ، اين كنت ؟. فوالله لقد
بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي . ثم حدثتها
بالمذي رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عمّ واثبت ، فوالذي نفس خديجة
بيده إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل
ابن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد
تنصّر ، وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما
أخبرها به رسول الله ﷺ انه رأى وسمع .

فقال ورقة بن نوفل : قدوسٌ قدوسٌ ، والذي نفس ورقة بيده

(١) مضيفاً : مُلتصقاً بها مائلاً اليها .

لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس^(١) الأكبر الذي
كان يأتي موسى ، وإنه لني هذه الأمة ، فقولي له فليثبت .
فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فاخبرته بقول ورقة
ابن نوفل .

وفي رواية البخاري :

.. فرجع^(٢) بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على
خديجة بنت خويلد . فقال : زملوني زملوني . فزملوه حتى ذهب
عنه الروح . فقال لخديجة ، واخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي .
فقلت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ،
وتقري^(٣) الضيف ، وتحمل^(٤) الكل ، وتكسب^(٥) المعدوم ،
وتعين على نوائب الحق^(٦) .. فانطلقت به خديجة حتى اتت

-
- (١) الناموس : الملك الذي جاءه بالوحي .
 - (٢) فرجع بها : بالكلمات التي القاهما إليه الملك .
 - (٣) تقري : تكرم .
 - (٤) وتحمل : يعطي الفقير ما يريجه من ثقل تكاليف حياته .
 - (٥) وتكسب : تبادر إلى إعطاء الفقير .
 - (٦) إذا وقعت فائدة لأحد في خير أعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد قواماً من عيش .

ورقة بن نوفل ..

اول من آمن

فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله ، على ما يلقي من قومه
من الخلاف والأذى .

وآمنت به خديجة ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على
أمره .

وكانت اول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه ، فخفف
الله بذلك عن نبيه ﷺ .

لا يسمع شيئاً مما يكرهه ، من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه
ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها : تثبته وتخفف عليه ،
وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس .

فتور الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه فأحزنه .

فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه - وهو الذي أكرمه بما أكرمه به - ما ودعه ربه وما قللاه . فقال تعالى : ﴿ والضحى .
والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ﴾ يقول : ما صرمك فتركك وما ابغضك منذ أحبك . ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾
أي : لما عندي في مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا ﴿ ولسوف أعطيك ربك فترضى ﴾ من الظهور والنصر في الدنيا ، والثواب في الآخرة ﴿ ألم يجدك يتيماً فأوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومنه عليه في يتمه وفقره وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ فاما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر ﴾
أي : لا تكن جباراً ، ولا متكبراً ، ولا فحاشاً ، فظاً على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ . أي : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أي : اذكرها وادع إليها .

(الضحى : ١ - ١١)

فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد
من النبوة سرّاً ، إلى من يطمئن اليه من أهله .

بداية فرض الصلاة

وافترضت عليه الصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ .
افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت عليه
ركعتين ركعتين كل صلاة .
فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها ليربها كيف الطهور
للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه
السلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل ،
فصلت بصلاته .

أول من آمن من الصبيان ؟

ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلى معه

وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب .
وهو ابن عشر سنين يومئذ ، وكان مما أنعم الله على علي بن أبي
طالب ، رضي الله عنه ، أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل
الإسلام .

أبو طالب يفاجئهما يصليان !

ويروى أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة ، خرج
إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه
أبي طالب ، ومن جميع اعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ،
فإذا أمسيا رجعا .

فكثا كذلك ما شاء الله ان يمكثا .

ثم إن أبا طالب عثر عليها يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله
ﷺ : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال :
« أي عم هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين آيينا
إبراهيم » .

فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إني لا أستطيع ان افارق دين

آبائي ، وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه
ما بقيت .

وقال ابو طالب لعلي : اي بني ؟ ما هذا الدين الذي انت عليه ؟
فقال : يا ابيت آمنت بالله وبرسول الله ؛ وصدقت بما جاء به ؛
وصليت معه لله ؛ واتبعته .
فقال له : اما إنه لم يدعك إلا إلى خير ، فالزمه .

اسلام زيد بن حارثة

ثم اسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، وكان أول ذكر
اسلم وصلى بعد علي بن ابي طالب .

اسلام ابي بكر

ثم اسلم أبو بكر بن ابي قحافة .
ولما اسلم اظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان ابو

بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، 'محبباً سهلاً وكان انسب قريش لقريش ،
واعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر .

وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف .

وكان رجال قومه يأتونه ويالفتونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه ،
وتجارته وحسن بحالته .

فجعل يدعو إلى الله وإلى الاسلام من وثق به من قومه ممن
يفشاه ويجلس اليه .

فأسلم بدعائه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن
ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فجاءهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له ، فأسلموا
وصلوا .

فكان هؤلاء نفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام .

فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله .

السابقون الاولون

ثم اسلم ابو عبيدة بن الجراح ، وابو سلمة ، والارقم بن ابي الارقم ، وعثمان بن مظعون ، وأخواه قدامة وعبدالله ابنا مظعون ، وعبيدة بن الحرث ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب ، واسماء بنت ابي بكر ، وعائشة بنت ابي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخباب بن الارت .

واسلم عمير بن ابي وقاص ، اخو سعد بن ابي وقاص ، وعبدالله ابن مسعود ، ومسعود بن القاري .

واسلم سليط بن عمرو ، واخوه حاطب بن عمرو .

وعياش بن ابي ربيعة ، وامراته اسماء بنت سلامة .

وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة .

وعبدالله بن ححش ، واخوه احمد بن ححش .

وجعفر بن ابي طالب ، وامراته اسماء بنت عميس .

وحاطب بن الحرث ، وامراته فاطمة بنت المجلل ، واخوه

حطاب بن الحرث ، وامراته فكيهة بنت يسار .

ومعمر بن الحرث ، والسائب بن عثمان ، والمطلب بن ازهر ،
وامراته رملة بنت ابي عوف .

ونعيم بن عبدالله ، وعسام بن 'فهيبة' ، مولى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه .

وخالد بن سعيد بن العاص ، وامراته أمية بنت خلف .

وحاطب بن عمرو ، وابو حذيفة بن عتبة ، وواقد بن عبدالله .

وخالد وعامر وعافل ، بنو البكير بن عبد ياليل .

واسلم عمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان .

ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا^(١) ، من الرجال والنساء ، حتى
فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به .

الجهري بالدعوة

ثم إن الله عز وجل امر رسوله ﷺ ان يصدع بما جاءه منه ،

(١) طائفة بعد طائفة .

وان يبادي الناس بأمره ، وان يدعو اليه .

وكان بين ما اخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به ، إلى ان أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه .
ثم قال الله تعالى له :

﴿ فَاصْدَعْ^(١) بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .
(الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦)

اول دم في الاسلام

وكان اصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب ،
واستخفوا بصلاتهم من قومهم .
فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ

(١) فأفرق بين الحق والباطل .

في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين ، وهم يصلون فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم .
فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بعظمة بعير فشججه ، فكان أول دم أهرى في الاسلام .

بدء الصراع

فلما بادی رسول الله ﷺ قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها .
فلما فعل ذلك أعظموه ، وناكروه ، واجمعوا خلافة وعداوته .
إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون .
وعطف على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ، ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله 'مظهراً لأمره لا يرد عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يرضيهم من شيء انكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم . ورأوا أن عمه أبا طالب قد عطف عليه . وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى

أبي طالب .

فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه احلامنا، وضلل آباءنا، فلما أن تكفه عنا، وإما أن 'تَحْسُلِي' بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فتكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه .. 'يظهر دين الله، ويدعو اليه، ثم زاد الأمر بينه وبينهم، حتى تباعد الرجال، وتضاغنوا، وأكثر قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها .
وتذامروا فيه، وحض بعضهم بعضاً عليه .

ثم انهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرة أخرى ..

فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإنا قد استثنيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتُسْفِيهِ احلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين .

ثم انصرفوا عنه ..

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا يخذلانه .

لو وضعوا الشمس في يميني ؟

ثم إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فابق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق .

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

فقال رسول الله ﷺ : يا عمّ والله ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته .

ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى .. ثم قام .. فلما ولى .. ناداه أبو طالب فقال ، أقبيل يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً

اسلم الينا ابن اخيك !

ثم إن قريشاً - حين عرفوا ان ابا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم - مشوا بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له : يا ابا طالب ، هذا عمارة بن الوليد اقوى فتى في قريش واجله ، فخذ فلك ديتة إذا قتل ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ، واسلم الينا ابن اخيك ، هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه احلامهم فنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

قال : والله لبس ما تسوؤوني ! أعطوني ابنكم أغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ؟ . هذا والله ما لا يكون أبداً .

فقال المُطعم بن عدي : والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً

فقال ابو طالب للمُطعم : والله ما انصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومُظاهرة القوم عليّ ، فاصنع ما بدا لك .

فاشتد الأمر ، وحميت الحرب ، وترك القوم ما كان بينهم من عهد
وبادى بعضهم بعضاً .

بدء التعذيب ١١

ثم إن قريشاً تذا مروا بينهم على كمن في القبائل منهم من اصحاب
رسول الله ﷺ الذين اسلموا معه .

فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين .. يعذبونهم ، ويفتنونهم
عن دينهم .

ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعهه ابي طالب .

وقد قام ابو طالب - حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون -
في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع
رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا اليه ، وقساموا معه ،
واجابوه إلى ما دعاهم اليه إلا ما كان من أبي لهب ، عدو الله
الملعون .

ماذا نقول في محمد؟

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش ، وكان ذاسن فيهم وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقل به .

قال : بل انتم فقولوا اسمع .

قالوا : نقول : كاهن .

قال : لا والله ، ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزُمزامة الكاهن ولا سجنه .

قالوا : فنقول : مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ
وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فاهو بالشعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحَّار وسحرهم ، فما هو بشفثهم
ولا عَقْدهم .

قالوا : فما نقول يا ابا عبد شمس ؟؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن اصله لعَدَقٌ^(١) ، وإن فرعه
لجَنَاةٌ^(٢) ، وما انتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف انه باطل . وإن
اقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر ، جاء بقول هو سحر ،
يقرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين
المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسُبل الناس - حين قدموا
الموسم - لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ..

(١) العَدَق : الكثير الشعب والأطراف .

(٢) الجَنَاة : فيه قمر يحفى .

وفي ذلك من قوله :

﴿ فَرَنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ
شُهُودًا . وَوَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ
لَآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾

أي : خصيماً .

﴿ سَارَ هَيْهُتُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتِيلَ كَيْفَ
قَدَّرَ . ثُمَّ قَتِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴾ .

بسر : كره وجهه .

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ .
إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ .

وأُزِلَ الله تعالى في رسوله ﷺ ، وفيما جاء به من الله تعالى ،
وفي النفر الذين كانوا معه ، يصنفون القول في رسول الله ﷺ ،
وفيما جاء به من الله تعالى :

﴿ كَا أَتَرَانَا عَلَى الْمُفْتَكْسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ .

أي : اصنافاً .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ ، لمن
لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله
ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكره
بالمدينة .

ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ ، حين
ذكر ، وقبل ان يذكر ، من هذا الحي من الأوس ، والخزرج ،
وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ،
ومعهم في بلادهم .

ايذاء رسول الله

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله
ﷺ ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ
سفهاءهم ، فكذبوه ، وآذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر والكهانة
والجنون .

ورسول الله ﷺ مظهرٌ لأمر الله ، لا يستخفي به ، مباديهم

بما يكرهون : من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه ليأهم على كفرهم .

وكان أشد ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد .

فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه .
فأنزل الله تعالى عليه :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

اسلام حمزة ا

مر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره ، من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره .

فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، وجارية لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك .

ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم .

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً
قوسه راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص برميهِ ويخرج له .
وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ،
وكان إذا فعل ذلك لم يمر من ناد من قریش إلا وقف وسلم وتحدث
معه .

وكان أعز فتى في قریش ، وأشد شكيمة .

فلما مر بالجارية وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له : يا
أبا عمار ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام ؟
وجده ههنا جالساً ، فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف
عنه ، ولم يكلمه محمد !

فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، مُعدّاً
لأبي جهل ، إذا لقيه ، أن يوقع به .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه .

حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ، فشجّه شجّةً
منكرة .

ثم قال : أتشتمه ؟ فانا على دينه ، أقول ما يقول ، فردّ ذلك
عليّ إن استطعت .

فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره ، فإنني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّز وأمتنع وان حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عرض الدنيا على رسول الله

قال عتبة بن ربيعة يوماً ، وكان سيداً ، وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ونعطيها أيها شاء ويكف عنا ؟

وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فأكلمه .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت ، من المنزلة الرفيعة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به

جناحتهم ، وسفقت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاستمع مني اعرض عليك اموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال له رسول الله ﷺ ، « قل يا أبا الوليد أسمع » .

قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد به شرفاً سَوَدُّناكَ علينا حتى لا تَقْطَعَ أمراً دونك . وإن كنت تريد به مُلْكاً مَلَكْناكَ علينا . وإن كان هذا الذي يَأْتِيكَ رَثِيلاً تراه ، لا تَسْتَطِيعَ رَدَّهُ عن نفسك . طلبنا لك الطَّبَّ ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نُبْرِئَكَ منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يسمع منه قال :
« أَقَدْ فرغتَ يا أبا الوليد ؟ »

قال : نعم .

قال . « فاستمع مني » .

قال : افعل .

فقال ، ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم . تنزيلٌ من الرحمن
الرحيم . كتابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيراً
ونذيراً فاعرضْ أكثرُهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في اكِنَّةٍ
مَّا تدعوننا اليه ﴾ .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه .
فلما سمعها منه عتبة انصت لها ، والقى يديه خلف ظهره ،
معتمداً عليهما ، يسمع منه .

ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال :
« قد سمعتَ يا ابا الوليد ما سمعت ، فانت وذاك » .

فقام عتبة إلى اصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد
جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به !

فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا ابا الوليد ؟

قال : ورائي اني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما
هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني ،
واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ،
فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم : فان تُصِّيه العرب
فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يَظْهَرُ على العرب فملكه ملككم ، وعزه

عزكم ، وكنتم اسعد الناس به .
قالوا : سَحَرَكَ والله يا ابا الوليد بلسانه !
قال : هذا رأيي ، فاصنعوا ما بدا لكم .

يسألون عنه اليهود !

ثم إن قريشاً بعثت النضر بن الحرث ، وُعقبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ
إلى علماء اليهود بالمدينة .

وقالوا لهما : سلام عن محمد ، ووصفا لهم صفته ، واخبراهم
بقوله ، فإنهم اهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من
علم الأنبياء .

فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسالا احبار اليهود عن رسول الله
ﷺ ، ووصفا لهم امره ، واخبراهم ببعض قوله .

وقالا لهم : إنكم اهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن
صاحبنا هذا .

فقلت لهما علماء اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ؛ فإن

اخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلُ فَرَوًا
فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟
فانه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طَوَّافٍ قد بلغ
مشارك الأرض ومغاريها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟
فان اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل
مُتَقَوِّلٌ ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبلا .. حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يا معشر قريش ،
قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد اخبرنا علماء اليهود أن
نسأله عن أشياء قد امرؤنا بها ، فان اخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم
يفعل فالرجل متقول فَرَوًا فيه رأيكم .

فجاءوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا
في الدهر الأول ، قد كانت لهم قصة عَجَبٌ ، وعن رجل كان طوفاً قد
بلغ مشارق الأرض ومغاريها . واخبرنا عن الروح ما هي ؟

فقال لهم رسول الله ﷺ : « أخبركم بما سألتهم عنه غداً »

ولم يقل إن شاء الله ..

فانصرفوا عنه ..

فكث رسول الله ﷺ خمسَ عشرةَ ليلة لا يحدث الله اليه في
في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أَرَجَفَ أهل مكة .

وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه .

وحق أحزن رسول الله ﷺ 'مكث' الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة .

ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته لإياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب ، حين سألوه عما سألوا عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا على الله ، وتركوا أمره عياناً ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر .

فقال قائلهم :

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَكُمْ تَفْٰلِبُونَ ﴾

أي اجعلوه لغواً وباطلاً ، واتخذوه هزواً لعلكم تغلبون بذلك ، فإنكم إن نظرتموه أو خاصتموه يوماً غلبكم .

اول من جهر بالقرآن

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بككة عبدالله
ابن مسعود رضي الله عنه .

اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله ما سمعت
قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجلٌ يسمعهموه ؟
فقال عبدالله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من
القوم إن أرادوه .

قال : دعوني .. فإن الله سيمنعني .

فغدا ابن مسعود ، حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ،
حتى قام عند المقام .

ثم قرأ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

رافعاً بها صوته.

﴿ الرحمن . علم القرآن ﴾ ..

ثم استقبلها يقرأها .

وتأملوه : فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟

ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد .

فقاموا اليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ ، حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ .

ثم انصرف إلى اصحابه ، وقد أثروا في وجهه .

فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغاديتهم بمثلها غداً .

قالوا : لا .. حسبك .. قد اسمعتهم ما يكرهون .

التعذيب يشتد !

ثم لأنهم عَدَوْا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين .

فجعلوا يحبسونهم ، ويمذبونهم ، بالضرب ، والجوع ، والعطش ،
وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن
دينهم ؛ فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من
يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

أحد .. أحد !!

وكان بلالٌ صانع الإسلام ، طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف
يخرجه - إذا حميت الظهيرة - فيطرحه على ظهره في بطحاء
مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره .
ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد
إللات والعزى .

فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحد !!

حتى سر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون
ذلك به .

فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟

حتى متى ؟

قال : انت الذي أفسدته ، فأنقذه مما ترى .

فقال أبو بكر : افعل ، عندي غلام أسود أجلدُ منه ، واقوى
على دينك ، اعطيكه به .

قال : قد قبلت .

قال : هو لك .

فاعطاه أبو بكر غلامه ذلك ، وأخذه فاعتقه .

صبراً آل ياسر

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبساييه وأمه -
وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء
مكة .

فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول : « صبراً آل ياسر ، موعدكم
الجنة » .

فأما أمه فقتلوها ، وهي تابی إلا الإسلام .

ابو جهل يتولى الجريمة

وكان ابو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش .
إذا سمع بالرجل قد اسلم ، له شرف ومنعة ، أثبه وخزاه ،
وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ؟! لنسفهن حاكمك ،
ولنقبهن رأيك ، ولنضعن شرفك .
وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك .
وإن كان ضعيفاً ضربه واغرى به ا

الهجرة الأولى الى الحبشة

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما
هو فيه من العافية ، لمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا
يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : * لو خرجتم
إلى أرض الحبشة فإن بها مَلِكًا لا يُظلمُ عنده أحدٌ ، وهي أرضُ

صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ؟ * .
فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى
أرض الحبشة . مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم .
فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

النجاشي يرفض تسليمهم !

عن أم سلمة - زوج النبي ﷺ - قالت : لما نزلنا أرض
الحبشة ، جاورنا بها خير جار ، النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا
الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما بلغ ذلك قريشاً اتتمروا بينهم ان يبعثوا إلى النجاشي
فيينا رجلين منهم جليدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من
متاع مكة .

ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، فأمرهما
بأمرهم .

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، ثم كلماه ،
فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء ،

فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آباءهم واعمامهم ، وعشائهم ، لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

ثم ارسل النجاشي إلى اصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم .

فلما جاءوا .. وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا أناجيلهم حوله .. سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : ايها الملك ، كنا قوماً اهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وامأنته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، واداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

— فعدد عليه أمور الإسلام — .

فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا
الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا
ما حلل لنا ، فغدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا
إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وإن نستحل ما كنا نستحل
من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا
وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا
في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك ايها الملك .

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟
فقال له جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ .

فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) ، فبكى والله النجاشي حتى
اخذلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اُخضلوا أناجيلهم حين سمعوا
ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجُ من
مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما ..

فخرجنا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءوا به ،
وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار .. حتى قدمنا على رسول الله ﷺ

وهو بمكة .

اسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبجمزة .

وكان لإسلام عمر ان اخته فاطمة بنت الخطاب - وكانت عند سعيد بن زيد - وكانت قد اسلمت واسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان باسلامها من عمر ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرأها القرآن .

فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه ، يريد رسول الله ﷺ ، ورهطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من اربعين من بين رجال ونساء .

ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر ، وعلي ، في رجال من المسلمين ، ممن أقام مع رسول الله ﷺ بمكة

ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فلقيه نعيم بن عبدالله - وكان أيضاً يستخفي بإسلامه - فقال له :
أين تريد يا عمر ؟

فقال : أريد محمداً .. هذا الصابيء ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه
أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فاقتله .

فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر : أترى
بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفسلا
ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال : واي أهل بيتي ؟

قال : ابن عمك سعيد بن زيد ، واختك فاطمة بنت الخطاب ،
فقد والله أسلماً ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بها !

فرجع عمر عامداً إلى أخته وزوجها ، وعندهما خبّاب معه
صحيفة فيها (طه^(١)) يقرئها إياها ، فلما سمعوا حسن عمر تغيب
خبّاب في بعض البيت ، واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة
فجعلتها تحت فخذها .

وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليها ، فلما دخل

(١) سورة طه .

قال : ما هذه الهينة التي سمعت ؟!

قالا له : ما سمعت شيئا .

قال : بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتا محمداً على دينه ..

وبطش بزواج أخته سعيد بن زيد ، فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضرها فشجها .

فلما فعل ذلك قالت له أخته وزوجها : نعم لقد أسلمنا ، وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته : اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آنفاً ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتباً .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها .

قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها اليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخي ، إنك تجسّس على شركك ، وإنه لا يمسا إلا الطاهر .

فقام عمر فاغتسل ..

فاعطته الصحيفة وفيها (طه) قرأها .

فلما قرأ منها صدراً قال : ما احسن هذا الكلام وأكرمه !!

فلما سمع ذلك خباب خرج اليه ، فقال له : يا عمر والله لاني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر .

فقال له عند ذلك عمر : فدُلّني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم .

فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه .

فاخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمداً إلى رسول الله ﷺ واصحابه فضرب عليهم السباب .

فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، وهو فزعٌ ، فقال يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف .

فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذنْ له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه .

فقال رسول الله ﷺ : « أئذّنْ له » ، فأذن له الرجل . ونهض اليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة ، فاخذ يحجزه

او بمجمع رداثه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال : « ما جاء بك يا ابن الخطاب ، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ؟ » .

فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله .

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ ان عمر قد اسلم !

فتفرق اصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في انفسهم حين اسلم عمر مع اسلام حمزة .

وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوهم .

قال عمر . لما أسلمت تلك الليلة تذكرت اي اهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة ، حتى آتته فاخبره أني قد اسلمت ، قلت أبو جهل ، فاقبلت حين اصبحت حتى ضربت عليه بابيه ، فخرج إليّ أبو جهل ، فقال . مرحباً ، واهلاً يا ابن اختي ، ما جاء بك ؟ قلت . جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدفت بما جاء به ، فضرب الباب في وجهي ، وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

مقاطعة بني هاشم وبني المطلب

فلما رأت قريش أن اصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمناً وقراراً ، وإن النجاشي قد منع من لجا اليه منهم ، وإن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمة مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب : على أن لا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم . فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم ، وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبة ، فاجتمعوا اليه . وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى إلى قريش ، فظاهرهم أي أعانهم .

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا ، لا يصل اليهم

شيء إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش
ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وسراً
وجهاراً ، مبادياً بأمر الله ، لا يتقي فيه أحداً من الناس .
فجعلت قريش ، يهزونه ويستهنئون به ، ويخاصمونه ، وجعل
القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، فمنهم من سُمّي لنا ، ومنهم من
نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار .

عودة المهاجرين

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة
إسلام أهل مكة ، فاقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا من
مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً ،
فلم يدخل أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً .

نقض الصحيفة

مشى هشام بن عمرو إلى زُهَيْر بن أَبِي أمية فقال : يا زهير ،
أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ،
وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا
ينكحون ، ولا ينكح اليهم ؟! أما إني أحلف بالله أن لو كانوا
أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم
ما أجابك إليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام !! فماذا اصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله
أن لو كان معي رجل آخر لقممت في نقضها حتى انتقضها .

قال : قد وجدت رجلاً .

قال : من هو ؟

قال : أنا .

قال له زهير : ابغنا رجلاً ثالثاً .

فلما تكامل الموافقون على نقض الصحيفة خمساً ، ذهبوا إلى البيت

واعلنوا نقصها .

فقال ابو جهل : هذا أمر 'قضي' رُبَلِيلٍ 'تشوور' فيه بغير
هذا المكان

الاسراء والمعراج

ثم اسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ،
وهو بيت المقدس ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي
القبائل كلها .

وكان في مسراه ، وما ذكر منه بلاءٌ وتمحيص ، وأمر من أمر الله
في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات
لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله على يقين .

فاسرى به كيف شاء ، وكما شاء ، إسرته من آياته ما أراد ،
ما اراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته
التي يصنع بها ما يريد .

أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهي دابة تضع حافرهما في
منتهى طرفها - فحمل عليها ..

فمضى رسول الله ﷺ ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ..

ولما فرغ من أمر بيت المقدس ، صعد إلى السماء .
ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ، ليرجع عليه الملائكة .

فصعد من سماء إلى سماء حتى جاوز السابعة .
وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ، ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .

وذكروا أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام .

ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كأذان الفيلة .. وغشيها عند ذلك أمور عظيمة ، ألوان متعددة باهرة ، وغشيها من نور الرب جل جلاله .

ورأى هناك جبريل له ستائة جناح ما بين كل جناحين كما بين
السماء والأرض .

وهو الذي يقول الله تعالى :

﴿ ولقد رآه نزلة أخرى • عقدَ سدرة المنعمي • عندها
جنة المأوى • إذْ يفتنى السدرة ما يفتنى • ما زاغ البصر
وما طفى ﴾

أي ما زاغ يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن المكان الذي حدله
النظر اليه ، وهذا هو الثبات العظيم ، والأدب الكريم ، وهذه
الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله
تعالى عليها .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ ، وعلى أمته
الصلوات ليلتئذ ، خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف
بين موسى وبين ربه عز وجل ، حتى وضعها الرب جل جلاله إلى
خمس ، وقال هي خمس وهي خمسون ، الحسنه بعشر أمثالها ، فحصل
له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ .

ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ، والظاهر أن الأنبياء
هبطوا معه تكرّياً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية
العظيمة .

فلما حانت الصلاة أمّ صلى الله عليه وسلم الأنبياء ، فتقدمهم
إماماً عن أمر جبريل .

ثم خرج منه فركب البراق ، وعاد إلى مكة !!
فأصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار ، وقد عاين
في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رآها - أو بهــضها - غيره
لأصبح مندهشاً ، أو طائش العقل .

ولكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واجماً - أي ساكناً - يخشى
إن بدأ فآخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطف بأخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة .
وذلك أن أبا جهل لعنه الله - رأى رسول الله ﷺ في المسجد
الحرام ، وهو حالس واجم .

فقال له : هل من خبر ؟!

فقال : نعم .

فقال : وما هو ؟!

فقال : إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس .

قال : إلى بيت المقدس !!؟

قال : نعم .

قال : أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أنخبرهم بما أخبرتني
بـه 1٩

قال : نعم .

فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد
رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم .

فقال أبو جهل : هيا معشر قريش .. وقد اجتمعوا من أنديتهم .
فقال : أخبر قومك بما أخبرتني به .

فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت
المقدس هذه الليلة وصلى فيه ! .

فمن بين مصفق ، وبين سافر ، تكذيباً له ، واستبعاداً
لخبره 11

الصدِّيق

وطار الخبر بمكة ، وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه .
فأخبروه أن محمداً يقول كذا وكذا .

فقال : إنكم تكذبون عليه .

فقالوا : والله إنه ليقوله .

فقال : إن كان قاله فلقد صدق .

ثم جاء إلى رسول الله ﷺ ، وحوله مشركي قريش ، فسأله عن ذلك فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به .

وكان مما قال أبو بكر ، وقد أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ :
يا نبي الله أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟
قال : نعم .

قال : يا نبي الله ، فصفه لي فأني قد جئته .

فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ، ويقول أبو بكر
صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً قال :
صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى .

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر « أنت يا أبا بكر الصديق » ،
فيومئذ سماه الصديق .

تطور الصلاة

ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء ، جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها .

وأمر رسول الله ﷺ أصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد ، والمسلمون يأتمون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يقتدي بجبرائيل .

وروى أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فرضت الخمس ، فرضت حضراً على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً .

وفاة خديجة وأبي طالب !!

ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتأبعت على رسول الله ﷺ المصائب بموت خديجة ، وكانت له وزير صدق على

الاسلام يشكو اليها .

وبموت عمه ابي طالب ، وكان له عضداً ومنعة وناصرأ على
قومه ، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين !!



أقول .. هذه هي الخطوط العريضة من .. حياة أم المؤمنين
خديجة .. عليها السلام ..

والآن ندخل إلى تفصيل حياتها الطاهرة !!

نَبيان عظيمان ..

في زواجرهما ..

يتشابهران ..!؟

سوف

تعجب عجباً كبيراً .. حين تقرأ هذا الفصل من هذا الكتاب !!

إنه فصح جديد .. ونهج فريد ..

إنه رَمَّةٌ مَنْ اللهُ بها .. والله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً

فيه !!

ماذا أريد أن أقول ؟!

لاحظت فجأة .. أن هناك تشابهاً .. بل تطابقاً عجيبيّاً بين

قصتين ..

قصة زواج نبيّ الله .. موسى .. ﷺ ..

وقصة زواج نبيّنا .. محمد .. ﷺ ..

ولننظر الآن .. كيف كان ذلك ؟!

اولاً قصة زواج موسى .. ﷺ

١ - شاب يفرّ إلى أرض مدين .. حيث تطارده أجهزة فرعون لتقبض عليه .. وتقدمه للإعدام ..

٢ - عند وصوله إلى ماء مدين .. وجد امرأتين لا تستطيعان سقي غنمهما حتى ينصرف الرعاة من أشداء الرجال ..

٣ - يسقي موسى لهما .. ثم ينصرف إلى الظل .. وقد بلغ به الإعياء والجوع منتهاه ..

٤ - ينادي ربه :

﴿ ربّ .. اني لما انزلت اليّ من خير فقير ﴾ .

٥ - ﴿ فجاءته احدى امهات قريته .. وقالت : انّ ابي يدعوك .. ليجزيك اجرّ ما سقيت لنا .. ﴾ ١١

٦ - يطلب اليها موسى ان يتقدمها في المسير .. فيسير أمامها وهي من ورائه ١١

٧ - تأمل هنا التدبير الإلهي .. لتمكين الفتاة الطاهرة من رؤية

موسى .. الشاب الطاهر ..

٨ - الفتاة تعلن إلى أبيها من قبل :

﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ ۞ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ ۖ ۞ ﴾ ١١

٩ - الشيخ الكبير يخطب موسى .. الشاب الفقير .. القوي
الأمين .. إلى إحدى ابنتيه .. ويعلن ذلك إلى موسى :

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ ۖ أَحَدِي ابْنَتِي هَاتَيْنِ ۖ ۞ ﴾ ١١

فهو حريص على أن يظفر به لاحداهما ١١

١٠ - بل ويحدد أبوها المهر بنفسه

﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَاجٍ ۖ ۞ فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا مِنْ
عِنْدِكَ ۖ ۞ ﴾ ١١

١١ - موسى يلتقط العرض .. ويوافق .. ويختار إحدى
الفتاتين ..

١٢ - موسى يدخل بعروسه .. ويمكث عشر سنين في حياة زوجية
مباركة هادئة ..

١٣ ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ۖ ۞ وَسَارَ بِأَهْلِهِ (إِلَى مِصْرَ)
أَنسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ۖ ۞ ﴾ ١١

١٤ - ومن هنا بدأت مرحلة النبوة ١١

ثانياً : قصة زواج .. النبي ﷺ ..

١ - كانت خديجة .. امرأة تاجرة ذات شرف ومال .. تستاجر الرجال في مالها .. بشيء تجعله لهم .. وكانت قريش قومًا تجاراً .. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ .. ما بلغها .. من صدق حديثه .. وعظم أمانته .. وكرم أخلاقه .. بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً .. وتعطيه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار .. مع غلام لها يقال له ميسرة ..

٢ - فقبله رسول الله ﷺ .. منها .. وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة .. حتى قدم الشام ..

٣ - ثم باع رسول الله ﷺ .. سلعته التي خرج بها .. واشترى ما أراد أن يشتري .. ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ..

٤ - فلما قدم على خديجة بمالها .. باعت ما جاء به .. فاضعف أو قريباً ..

٥ - وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة .. مع ما اراد الله بها من كرامته ..

٦ - بعثت إلى رسول الله ﷺ .. فقالت له - فيما يزعمون :
يا بن عم .. اني قد رغبتُ فيك .. لقرابتك .. وسِطتك
(شرفك) في قومك .. وامانتك .. وحسنُ خلقك .. وصديق
حديثك ..

٧ - ثم عرضت عليه الزواج .

٨ - وكانت خديجة يومئذ اوسط نساء قريش نسباً .. وأعظمهن
شرفاً .. وأكثرهن مالا .. كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو
يقدرُ عليه ..

٩ - فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ .. ذكرَ ذلك لأعمامه ..
فخرج معه عمُّه حمزة بن عبد المطلب .. رحمه الله .. حتى دخل على
عمِّها .. فخطبها اليه ..

١٠ - فتزوجها .

١١ - وأصدقها رسول الله ﷺ .. عشرين بَكْرَةً ..

١٢ - قضى .. ﷺ .. خمسة عشر عاماً في حياة زوجية
مباركة طيبة .. حتى أوحى اليه في الأربعين !!

ثالثاً : اوجه التشابه ..

١ - في موسى عليه السلام .. شاب فقير ﴿ إني لما أنزلت إني من خير فقير ﴾ .. وفي النبي ﷺ .. شاب فقير قليل المال ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ !!

٢ - في موسى عليه السلام .. شاب قوي أمين ﴿ إن خير من استاجرت القوي الأمين ﴾ هذه شهادة إحدى ابنتي الشيخ الكبير .. وفي النبي (ص) .. شاب قوي أمين .. شهدت بذلك خديجة وأعلنته اليه (ص) (إني قد رغبت فيك .. لقرابتك .. وسيطتك في قومك .. وأمانتك) .. هذا عن الأمانة .. وقد شهدت مكة بذلك كلها .. وأجمعت على تسميته بالأمين .. وأما القوة فشيء طبيعي في صفاته (ص) !!

٣ - في موسى عليه السلام .. عرض عليه أبوهما الزواج من إحدى ابنتيه ﴿ إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ فكانت مفاجأة ثمة لموسى .. فهو لم يكن يخطر بباله أن يتزوج إحدى هاتين !! وفي النبي (ص) .. عرضت خديجة نفسها على

النبي (ص) ليتزوجها .. فكانت مفاجأة تامة للنبي (ص) .. لم يخطر
بباله ذلك من قبل ..

قالت « نفيسة بنت منية » :

« أرسلتني خديجة دسيسة إلى « محمد » بعد أن رجع من الشام ..
فقلت : يا محمد .. ما يمنعك من أن تتزوج ؟ قال : ما بيدي مال أتزوج
به .. قلت : فإن كفيت ذلك .. ودعيت إلى الجمال والمال والشرف
والكفاءة .. ألا تحيب ؟ قال : فن ؟ قلت : خديجة .. قال : وكيف
لي بذلك ؟ قلت : عليّ . وأنا أفعل . ١١ »

وتأمل هنا المفاجأة فهي واضحة جداً !!

وأجل العطاء أن يفجأك الله بالعطاء من حيث لا تحتسب !!

٤ - في موسى عليه السلام .. رغم أنه كان في تلك اللحظة لا يملك
مالاً .. دفع المهر إلى عروسه .. عشر سنين من العمل .. وفي النبي
(ص) .. دفع المهر إلى خديجة عليها السلام « عشرين بكرة » ١١

٥ - في موسى عليه السلام .. دخل بيت أبيها وكلهم يرحبون
بمقدمه .. وفي النبي (ص) .. دخل بيت خديجة عليها السلام ..
وكل أهل البيت يرحبون بمقدمه الشريف ..

٦ - في موسى عليه السلام .. قضى عشر سنين في بيت طيب
طاهر .. ثم فجأه الوحي . وفي النبي (ص) .. قضى خمسة عشر

عاماً في بيت الزوجية الطاهر .. ثم فجاء الوحي في غار حراء !!

٧ - في موسى عليه السلام .. كانت المكرمة التي بدرت منه ..
حين سقى لهما ثم قولى إلى الظل .. سبباً في اكتشاف فتوته وأمانته
وقوته .. ﴿ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي
الأمين ﴾ ..

وفي النبي (ص) .. كانت مكارم أخلاقه وأمانته في رحلته إلى
الشام في تجارة خديجة .. سبباً في اكتشاف قوته وأمانته وتأكد ذلك
عند خديجة عليها السلام ..

٨ - في موسى عليه السلام .. قام البرهان للشيخ الكبير وابنتيه على
قوة موسى وأمانته .. فألقى الشيخ اليه بمقاليد أموره كلها .. وفي النبي
(ص) .. قام البرهان عند خديجة على قوته وأمانته .. فألقت اليه
بأمورها كلها .. وما لها كله يتصرف كيف يشاء !! فتفرغت هي للبيت
والزوجية .. وتركته له (ص) يتجر في ما لها كيف يشاء !!

هذه بعض أوجه التشابه المعجيب .. بل التطابق الغريب .. بين
القصتين الشريفتين .. قصة زواج الكلم عليه السلام .. وقصة زواج
الحبيب (ص) !!

فماذا في هذا !!؟

هل هو بعض صدفة !!؟

كلا ثم كلا .. إنما هو التدبير الإلهي .. والصنع الحكيم الحكيم ..
ما كان موسى عليه السلام .. حين تزوج ابنة الشيخ الكبير ..
يعلم أنه سوف يكون نبياً .. ومن أولي العزم من الرسل !!
وما كان محمد (ص) .. حين تزوج خديجة .. يعلم أنه سوف يكون
خاتم النبيين .. وسيد المرسلين .. ورسول الله إلى الخلق كافة إلى
يوم الدين !!

ولكن الله يعلم .. ومقتضى علمه سبحانه .. أن يصنعها على عينه
﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ .. ﴿ فَانْكَرَ بَاعِثُنَا ﴾ ..
مقتضى علمه سبحانه .. أن يُعَدَّها .. ويصنعها كيف يشاء ..
إنها لا يعلمان بعد .. ماذا يراد بهما ..

ولكن الله عز وجل يعلم
﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ !!

فالتشابه .. أو التطابق .. في قصة زواجهما .. ﷺ .. ليس
صدفة .. وإنما تدبير ليس كمثل تدبير
﴿ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ .. يُفَصِّلُ الْآيَاتِ .. ﴾ !!

وهذا التشابه إشارة عظيمة .. تؤكد لنا نحن البشر .. أن موسى
حق .. وأن محمداً حق !!

وَأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْكَلِمِ .. هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْحَبِيبِ ..
هَذَا سَوْفَ يَكُونُ نَبِيًّا عَظِيمًا ..
وَذَلِكَ سَوْفَ يَكُونُ سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ ..

فَإِنْ تَشَابَهًا فِي زَوَاجِهِمَا .. فَلَيْسَتْ هِيَ الصَّدْفَةُ .. وَإِنَّمَا هُوَ التَّدْبِيرُ
مِنَ اللَّهِ لِلنَّبِيِّينَ الْكَرِيمِينَ .. لِيَحْمِلَا مِنْ بَعْدِ مَا سَوْفَ يَحْمِلَانِ ۝
وَكَمَا اكْتَشَفَتِ الْفَتَاةُ جَوْهَرَ مُوسَى فَهَتَفَتْ بِأَيِّهَا ۞ يَا أَبْتَ
اسْتَاجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَاجَرْتُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝
كَذَلِكَ اكْتَشَفَتْ خَدِيجَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ .. جَوْهَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ
لَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ :

« يَا بَنَ عَمٍّ .. إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ ..
« لِقَرَابَتِكَ ..
« وَسِطَّتِكَ (شَرَفِكَ) فِي قَوْمِكَ ..
« وَامَانَتِكَ ..
« وَحَسَنِ خُلُقِكَ ..
« وَسَدَقِ حَدِيثِكَ .. » ۝

فَدَلَّتْ بِذَلِكَ .. عَلَى عِبْقَرِيَّةِ مَكْنُونَةٍ فِي جَوْهَرِهَا ..
لَقَدْ اكْتَشَفَتْ أَعْلَى .. وَأَعْلَى .. وَأَرْقَى .. وَأَكْمَلَ صِفَاتِ الْبَشَرِ ..

وهذا من أقوى دلائل عبقرية خديجة !!
طوبى لها .. حين اختارت ..
ثم طوبى لها .. حين رضي .. ﷺ .. زواجها ..
هنالك شرفت شرفاً لم تبلغه سيدة قط ..
لقد صارت زوجاً .. لأشرف الخلق .. صلى الله عليه وسلم !!
فصارت أمّاً للمسلمين والمسلمات .. الى يوم القيامة !!

كيف تمّ ..

الزواج ..

المبارك .. ؟!

لا

أحب الخوض في التفاصيل .. ولا اطلاق الخيال في وصف حفل
الزفاف ..

كما صنع بعض من كتبوا في هذا الأمر الجليل ..

ذلك أن أيّ شأن من شئون النبي ﷺ .. يجب مساهة
بالتوقيع .. الذي فرضه الله علينا .. إذا تحدثنا عن شئون رسوله ..
ﷺ ..

امثالاً لقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ..

﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ..

﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ..

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴿

رسول الله .. وخاتم النبيين ١٢

وَمَنْ كَانَ هَذَا مَقَامَهُ .. وَجِبَ أَنْ نَغْضُ أَصَوَاتَنَا عِنْدَهُ .. وَأَنْ
نَتَكَلَّمَ بِحَذَرٍ !!

وَلَا أُدْرِي مِنْ أَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِي ذَهَبُوا يَتَخِيلُونَ وَصَفَاءَ لِحْفَلِ زَفَافِ
خَدِيجَةَ .. عَلَيْهَا السَّلَامُ .. فَقَالُوا بِدَقِّ الطَّبُولِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ !!
كَلَّا ثُمَّ كَلَّا .. بَلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ .. وَمَا يَنْسُغِي لِلْخَيْسَالِ أَنْ
يَكُونَ لَهُ مَكَانٌ !!

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَوْفَ نَقِفُ عِنْدَ الْوَاردِ فِي هَذَا الشَّانِ .. فَنَقُولُ :
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :

حَدِيثُ تَرْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ .. ﷺ ..
خَدِيجَةَ .. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

« فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ .. ﷺ .. خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ..
« تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ .. بِنْتَ خُوَيْلِدٍ .. بْنِ أَسَدٍ .. بْنِ عَبْدِ
الْعُزَّى .. مِنْ قُصَيٍّ .. بْنِ كِلَابٍ .. بْنِ مَرْثَةَ .. بْنِ كَعْبٍ .. بْنِ
لُؤَيٍّ .. بْنِ غَالِبٍ ..

قال ابن إسحاق :

« وكانت خديجة بنت خويلد .. امرأة تاجرة ذات شرف ومال ..

« تستاجر الرجال في مالها ..

« وتضاربهم^(١) إياه .. بشيء تجعله لهم ..

« وكانت قريش قوماً تجاراً ..

« فلما بلغها عن رسول الله ﷺ .. ما بلغها .. من صدق

حديثه .. وعظم أمانته .. وكرم أخلاقه .. بعثت إليه وعرضت

عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ..

« وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ..

« مع غلام لها يقال له ميسرة ..

« فقبله رسول الله ﷺ .. منها .. وخرج في مالها ذلك ..

« وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ..

« فنزل رسول الله ﷺ .. في ظل شجرة قريباً من صومعة

راهب من الرهبان

« فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال له : من هذا الرجل الذي

(١) تضاربهم .. أي تجمل لهم نصيباً في الربح .

نزل تحت هذه الشجرة ؟.

« قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ..
« فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبي ..

رغبة خديجة في الزواج منه

« ثم باع رسول الله ﷺ .. سلعته التي خرج بها .. واشترى ما أراد
أن يشتري ..

« ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ..

« فكان ميسرةُ - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرةُ واشتد الحرُّ ..
يرى مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ مِنَ الشَّمْسِ .. وهو يسير على بعيره ..
« فلما قدِم مكة على خديجة بماها . باعتُ ما جاء به .. فاضعف
أو قريباً ..

« وحدثها ميسرة عن قول الراهب ..

« وعما كان يرى من إضلال المَلَكَيْنِ إياه ..

« وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية .

« مع ما أراد الله بها من كرامته ..
 « فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ..
 « بعثت إلى رسول الله .. ﷺ .. فقالت له - فيما يزعمون -
 « يا بن عمّ .. إني قد رغبتُ فيك ..
 « لقرابتك ..
 « وِسْطَيْتِكَ^(١) في قومك ..
 « وأمانتك ..
 « وحسنُ خلقك ..
 « وصدق حديثك ..
 « ثم عرضت عليه نفسها ..
 « وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسباً ..
 « وأعظمنَّ شرفاً ..
 « وأكثرهنَّ مالاً ..
 « كلَّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه ..

(١) وشرفك .

زواجه .. ﷺ من خديجة

- « فلما قالت ذلك لرسول الله .. ﷺ .. ذكر ذلك لأعمامه ..
« فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب ..
« حتى دخل على خويلد بن أسد .. فخطبها اليه ..
« فتزوجها ..
« وأصدقها رسول الله .. ﷺ .. عشرين بكرة ..
« وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله .. ﷺ ..
« ولم يتزوج عليها غيرها ..
« حتى ماتت .. رضي الله عنها .. »

اضافات تزيد الصورة وضوحاً

«ويقال ان الذي نهض معه .. عليه السلام هو أبو طالب .. وهو الذي
خطب خطبة النكاح ..
«وقيل : لعلهما خرجا معه جميعاً .. وخطب أبو طالب الخطبة ،
لأنه كان أسنّ من حمزة ..
«وذكر غير ابن إسحاق أن خويلاً كان إذ ذاك قد هلك .. وأن
الذي أنكح خديجة رضي الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ..»

السفارة التي مهدت للزواج

قالت «نفيسة بنت منية» :
«ارسلتني (خديجة) دسياً إلى (محمد) بعد ان رجع من الشام ..
«فقلت : (يا محمد) ما يمنعك من أن تتزوج ؟»

« قال : ما يبدي مال أتزوج به ..
« قلت : فإن كفيت ذلك .. ودعيت إلى الجمال والمال والشرف
والكفاءة ألا تجيب ؟
« قال : فمن ؟
« قلت : (خديجة) ..
« قال : وكيف لي بذلك ؟
« قلت : عليّ .. وأنا أفعل . »

عقد الزواج ؟

« وجاء اليوم الموعود ..
« وذهب (محمد) لعقد الزواج ..
« وذهبت معه بنتو هاشم .. وعلى رأسهم عمه (أبو طالب) وعمه
(الحمزة) ..
« كما حضر معه رؤساء مصر .
« وحضر الحفل آل (خديجة) من بني أسد ..

«وعلى رأسهم (عمرو بن اسد) ..
«ونهب (أبو طالب) فخطب خطبة الزواج .. وكان مما قال :
«الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم .. وزرع إسماعيل ..
«وضئضئي (أصل) معد ..
«وعنصر مضر ..
«وجعلنا حضنة بيته .. وسواس حرمه ..
«وجعل لنا بيتاً محجوجاً .. وحرماً آمناً .
« وجعلنا الحكم على الناس ..
«ثم قال : إن ابن أخي هذا (محمد بن عبدالله) لا يوزن به رجل
إلا رجع به ..
«فإن كان في المال قل (قليل المال) .
«فإن المال ظل زائل .. وأمر حائل (يتغير) ..
«ومحمد من عرفتم قرابته ..
«وقد خطب (خديجة بنت خويلد) ..
«وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي ..
«وهو بعد هذا والله نبأ عظيم .. وخطر جليل ..

* وكان مهر (خديجة) عشرين بكرة ..
 * ونهض (عمرو بن أسد) عم خديجة .. وزعيم قومه .. فردّ على
 (أبي طالب) .. واثق على (محمد بن عبد الله)
 * وأعلن تزويجه من ابنة أخيه (خديجة) ..
 * وبذلك تمت مراسم عقد الزواج بين أشرف زوجين ..
 * وقد كان زواجهما بعد مجيء (محمد بن عبد الله) من الشام
 بشهرين وخمسة عشر يوماً ..
 * وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاماً .
 * وكانت - كما روى ابن أخيها - (حكيم بن حزام بن خويلد)
 قد بلغت الأربعين عاماً .. !!

رواية ابن الأثير

ولا يختلف رواية ابن الأثير عما ذكره غيره .. ومما قال :
 * فلمّا أرسلت إلى النبي ﷺ .. قال لأعمامه ..
 * وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب .. وأبو طالب وغيرها

من عمومته ..

« حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه ..

« فتزوّجها ..

« فولدت له اولاده كلهم ..

« إلا إبراهيم ..

« وقيل : إن الذي تزوّجها عمها عمرو بن أسد .. وإن أباه مات

قبل الفجار ..

« وكان الرسول بين خديجة وبين النبي ﷺ .. نفيسة بنت

منية .. وأسلمت يوم الفتح .. فبرّها رسول الله ﷺ ..

وأكرمها . »

ماذا قال الامام العيني ؟

« (باب) (١) تزويج النبي ﷺ .. خديجة .. وفضلها رضي

الله عنها .)

(١) من صحيح البخاري

« اي هذا باب في بيان تزويج النبي .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ..
« تجتمع مع رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ..
في قصي .. »

« وهي من اقرب نسائه اليه في النسب ..
« كانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة ..
« تزوجها رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. في سنة
خمس وعشرين من مولده - في قول الجمهور -
« وقال ابو عمر : كانت إذ تزوجها رسول الله .. صلى الله تعالى
عليه وسلم .. بنت اربعين سنة .. »

« وأقامت معه اربعاً وعشرين سنة ..
« وتوفيت وهي بنت اربع وستين سنة وستة اشهر ..
« وتوفيت قبل الهجرة .. بثلاث سنين ..
« يقال أنها توفيت بعد موت ابي طالب بثلاثة ايام ..
« توفيت في شهر رمضان ..
« ودفنت في الحجون . » !!

★

أقول : هذا ما تيسر لنا جمعه في هذا الباب : كيف تمّ الزواج المبارك ١٢.

أما ما وراء ذلك .. من ضرب الدفوف .. وذبح الذبائح .. فهو لا يقدم ولا يؤخر .. ولا يغني في الموضوع شيئاً ..
إنما الأمر الذي يعني البشرية إلى أن تقوم الساعة ..
أنّ محمداً .. ﷺ .. تزوج خديجة بنت خويلد ..
أما المشاعر .. أما الأحاسيس .. التي كانت بينهما ..
فإنها حرم أقدس .. يتحتم على الجميع .. أن يُمسكوا عن مجرد التفكير فيها .

ذلك شيء يسير .. عن اشرف زواج .. كان او يكون !!

خمس عشرة سنة ..

في ظلمة حياة ..

زوجية سعيدة ؟!

من

المشهور .. انَّ رسول الله .. ﷺ .. تزوج خديجة .. عليها
السلام .. وهو ابن خمس وعشرين .
وأنه .. ﷺ .. بُعِث وهو في الأربعين ..
فهناك من بدء الزواج .. إلى بدء الوحي .. خمس عشرة سنة ..
فكيف كانت حياته .. ﷺ خلال تلك الفترة ١٢
وماذا كان فيها من أحداث ١٢

اولاده .. ﷺ .. من خديجة .. عليها السلام ١٢

جاء في (أسد الغابة) :

« قال قتادة : ولدت له خديجة غلامين .. وأربع بنات ..

« القاسم .. وبه كان يكنى .. وعاش حتى مشى ..

» وعبدالله .. مات صغيراً . «

» وقال الزبير : ولدت لرسول الله .. ﷺ .. القاسم وهو اكبر
ولده ..

» ثم زينب ..

» ثم عبدالله .. وكان يقال له الطيب .. ويقال له الطاهر ..

» ثم مات القاسم بمكة .. وهو أول ميت مات من ولده ..

» ثم عبدالله مات أيضاً بمكة . «

» وقال الكلبي : ولد عبدالله في الإسلام .. وكل ولده منها ولد قبل
الإسلام . «

» وقال الزبير : ان خديجة بنت خويلد .. ولدت لرسول الله ..

صلى الله عليه وسلم .. القاسم .. والطاهر .. والطيب ..
و عبدالله .. وزينب .. ورقية .. وأم كلثوم .. وفاطمة . «

اقول : الراجع أن الطاهر والطيب كانا يطلقان على « عبدالله »
باعتبار أنه ولد في الإسلام – على قول –

وقال ابن هشام :

« فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم .. إلا إبراهيم .
« القاسم .. وبه كان يكنى .. ﷺ .. والطاهر .. والطيب^(١) ..
ورينب .. ورقية .. وأم كلثوم .. وفاطمة .. عليهم السلام ..

قال ابن هشام :

« اكبر بنيه القاسم .. ثم الطيب .. ثم الطاهر .. واكبر بناته
رقية .. ثم زينب .. ثم أم كلثوم .. ثم فاطمة .
اقول : الراجح من أقوال اخرى ان اكبر بناته زينب .. ثم
رقية .. ثم أم كلثوم .. ثم فاطمة .

ترتيب المواليد ١٩

القاسم .. وكان ﷺ في نحو الثامنة والعشرين ..
زينب .. وكان ﷺ في نحو الثلاثين من عمره ..

(١) المعروف أنها لقبان لعبد الله .

رُقِيَّة .. وكان ﷺ في نحو الثالثة والثلاثين ..
أم كلثوم .. وكان ﷺ في نحو الرابعة والثلاثين ..
فاطمة .. وكان ﷺ في نحو الخامسة والثلاثين ..

بعد عشر سنوات من الزواج ..
عبدالله .. (وهو الطيب والطاهر) .. وكان ﷺ قد قارب
الحادية والأربعين ..

وكانت خديجة قد قاربت السادسة والخمسين من عمرها ..
وقيل : (ولد عبدالله في الإسلام .. وكل ولده منها ولد قبل
الإسلام .)

توفي قبل أن يتم مدة الرضاع .. وورثه المشركون بموته وقال
سفيههم .

«دعوه فإنما هو رجل أبت لا عقب له .. لو هلك انقطع
ذكره .. واسترحتم منه » !!

أقول : يمكن بالتأمل في مختلف الروايات أن ترتيب النرية المباركة
هكذا ..

القاسم .. ثم زينب .. ثم رُقِيَّة .. ثم أم كلثوم .. ثم فاطمة ..
ثم عبدالله ..

فإذا اخذنا برواية ابن إسحاق ..

(فولدت لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم . وكَلَدَه كلهم قبل
أن ينزل عليه الوحي) .

كان معنى هذا أن هؤلاء الستة وُلِدوا خلال الخمس عشرة
سنة .. من بدء الزواج إلى بدء الوحي .. هذا من ناحية
الميلاد ..

ويذهب ابن إسحاق أن الذكور هلكوا قبل الاسلام ..
(وأما بناته فأدركن الاسلام .. فهاجرن معه واتبعنه
وآمنَّ به) .

والراجح ان القاسم مات قبل الاسلام .. وأن عبدالله (الطيب
والطاهر) مات في الاسلام صغيراً ..

هذا ما أمكن لنا استخلاصه من الأقوال الواردة في هذا
السبيل .. والله أعلم !!

ولكن ماذا عن الأحداث العامة التي شارك فيها .. ﷺ ..
خلال هذه السنين ١٩

لعل أهم هذه الأحداث كان .. هو هدم قريش الكعبة
وبناءها ..

وقد مرّ في فصل سابق .. كيف احتكت قريش إلى أوّل
داخل المسجد .. فكان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. هو أوّل
داخل ..

وكيف قالوا : هذا الأمين .. رضينا .. هذا محمد .. الخ ..
وكان ذلك سنة خمس وثلاثين من مولده .. ﷺ ..
أي بعد مرور عشر سنوات من الزواج الكريم ..
أما كيف كانت حياة الزوجين الشريفين .. وكيف كانت
العلاقة بينهما ١٩

فإنّ خير ما يُقال في هذا الأمر أن نقول ..
ما ظنك بزوجه .. هو أشرف .. وأرقى .. وأعظم .. خلق
الله ١٩

وما ظنك بزوجة .. هي التي وقع اختيار الله تعالى عليها ..
لتكون زوجة لرسوله .. ﷺ ١٩

ما ظنك بزوجة ليس كمثليها زوجان على الإطلاق ١٩
كانت حياتها الزوجية .. أرقى حياة ..

الحب المتبادل ..

الاخلاص المتبادل ..

التعاطف المتبادل ..

التراحم المتبادل ..

بل الأمر أعلى من ذلك ..

إنّه رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وإنّها أم المؤمنين .. خديجة .. عليها السلام ..

كل ما يُقال في وصف حياتها الزوجية .. من ثناء .. هودون
الحقيقة ..

فاللهم .. صلّ .. وسلّم .. على خير البريّة ..

وسلامٌ على زوجته .. الطاهرة الزكيّة !!

فدريجة .. عليها السلام ..

في أعظم ..

لحظة في حياتها !؟

ما هي

أعظم لحظة .. في حياة أم المؤمنين .. خديجة بنت خويلد !؟
في رأي .. هي اللحظة التي دخل فيها .. رسول الله ..
ﷺ .. على خديجة ، يرجف فؤاده .. فقال زملوني .. زملوني ..
فقلت خديجة : كلا .. والله ما يُخزيك الله أبداً !!
نعم .. هذه هي اللحظة الكبرى ، العظمى ، من حياتها ..
جاءها يرجف فؤاده ..
فأعظمته .. ووقّرتة .. وثبّتته .. وآنسته .. ولاطفته ..
وأقسمت : والله .. ما يُخزيك الله أبداً !!
وها هنا سر الاختيار !!
لماذا اختارها الله هي بالذات .. زوجاً له .. من دون النساء !؟
من أجل هذه اللحظة الفاصلة .. في حياة البشر إلى أن تقوم
الساعة !!

المراد سيدة عظيمة ، تقف إلى جوار النبي العظيم ، تشدّ من
أزره ، في أخطر لحظة ..
لحظة بدء الوحي ..
شيء جديد .. في حياته ..
فمن يفهمه ، ومن يصدّقه ، ومن يُعيّنه ؟
إنها خديجة .. التي وقع عليها الاختيار الإلهي لأداء ذلك الدور
القدّ .. الذي لا يمثل له !!
فكيف كان ذلك ؟

بدء الوحي

عن عائشة أمّ المؤمنين .. أنها قالت :
« أوّل ما بُدِئ به رسولُ الله .. ﷺ .. مِنْ الوحي ..
الرؤيا الصالحة في النوم ..
« فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مُثلَ فلقِ الصُّبح ..
« ثم حُبب إليه الخلاء ..

« وكان يخلو بغارٍ حرامٍ ..
 « فيتحنَّثُ فيه - وهوَ التعبُّدُ - اللياليَ ذواتِ العددِ .. قبل
 ان ينزعَ إلى أهلِهِ .. ويتزوَّدُ لذلكَ ..
 « ثم يرجعُ إلى خديجةَ ، فيتزوَّدُ لمثلِها ..
 « حتى جاءهُ الحقُّ ، وهو في غارٍ حرامٍ ..
 « فجاءهُ الْمَلَكُ ، فقال : اقْرَأْ ..
 « قالَ : ما أنا بقارئٍ ..
 « قالَ : فاخذي فطنتي .. حتى بَلَغَ مني الجُهدَ .. ثم
 أرسلني ..
 « فقالَ : اقْرَأْ ..
 « قلتُ : ما أنا بقارئٍ ..
 « فاخذي .. فطنتي الثانيةَ .. حتى بَلَغَ مني الجُهدَ .. ثم
 أرسلني ..
 « فقالَ : اقْرَأْ ..
 « فقلتُ : ما أنا بقارئٍ ..
 « فاخذي .. فطنتي الثالثةَ .. ثم أرسلني ..

« فقال . ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ ﴾

« فرَجَعَ بها رسول الله ﷺ .. يَرْجِفُ فؤادُهُ ..

« فدَخَلَ على خديجة بنتِ خويلدٍ - رضيَ الله عنها -

« فقالَ : زملوني ، زملوني ..

« فزملوه .. حتى ذهبَ عنه الرؤُوعُ ..

« فقال لخديجة ، وأخبرها الخبرَ :

« لقدُ خَشِيتُ على نفسي ..

« فقالتُ خديجةُ : كلاً .. والله ما يُخْزِيكَ اللهُ أبداً .. إنك

لَتَصِلُ الرَّحْمَ .. وتَحْمِلُ الْكُلَّ .. وتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ .. وتَقْرِي

الضيفَ .. وتُعِينُ على نوائبِ الْحَقِّ ..

« فانطلقتُ به خديجةُ ، حتى أتتُ بهِ وَرَقَةَ بنَ توفلٍ

ابنَ أسدٍ بنِ عبدِ العُزَّى .. ابنَ عمِّ خديجة ..

« وكان امرأ تنصراً في الجاهلية ..

« وكان يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرانيَّ .. فيَكْتُبُ من الانجِيلِ

بالعبرانية ما شاءَ اللهُ ان يَكْتُبَ ..

« وكانَ شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ..

«فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمٍّ .. اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ..
 «فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي .. مَاذَا تَرَى ؟
 «فَاخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . خَبَرَ مَا رَأَى ..
 «فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي تَزَلَّ اللَّهُ عَلَى
 مُوسَى ..

«يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ..
 «لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا . إِذْ يُخْرُجُكَ قَوْمُكَ ..
 «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْ مُخْرَجِيْهُمْ ؟
 «قَالَ : نَعَمْ .. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا
 عَوْدِيَّ .. وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ انْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ..
 «ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى ..
 «وَفَتَرَ الْوَحْيُ ..

« قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : وَاخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ..
 أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ
 الْوَحْيِ ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ :

«بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي .. إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ
 بَصْرِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ .. جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ

السماء والأرض ، فرُعِبْتُ مِنْهُ .. فرجعتُ فقلتُ : زُمَّلُونِي ..
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى .. ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ .. ﴾ إِلَى قَوْلِهِ :
﴿ وَالرَّجَزَ فَاهْجُرْ .. ﴾

« فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ .. »

[صحيح البخاري]

« يَتَزَوَّدُ » اتَّخَذَ الزَّادَ ، وَهُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَسْتَصْحِبُهُ الْمَسَافِرُ ..
« فَغَطَّنِي » ضَغَطَنِي وَعَصَرَنِي ، وَالْغَطُّ فِي الْحَدِيثِ : الْخَنْقُ ..
« الْجَهْدُ » الْغَايَةُ وَالْمَشَقَّةُ ..
« عَالَقٌ » هُوَ الدَّمُ الْغَلِيظُ ..
« يَرْجِفُ فُؤَادَهُ » يَخْفِقُ وَيُضْطَرِبُ ، وَالْفُؤَادُ هُوَ عَيْنُ الْقَلْبِ ..
« الرَّوْعُ » هُوَ الْفَزَعُ ..

« مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ » مِنَ الْخِزْيِ وَهُوَ الْفُضَيْجَةُ وَالْهَوَانُ ..
« لَتَصِلَ الرَّحِمُ » تَحْسَنُ إِلَى قَرَابَاتِكَ ..
« وَتَحْمِلُ الْكُلَّ » تَنْفِقُ عَلَى الضَّعِيفِ وَالْيَتِيمِ .. لِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ
لَا يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ ..

«وتكسب المعدوم» تكسب غيرك المال المعدوم ، اي تعطيه
له تبرعاً ..

«وتقري الضيف» تكرم الضيف ..

«قد تنصّر» صار نصرانياً وترك عبادة الأوثان ..

«وكان يكتب الكتاب العبراني» كان يكتب من الانجيل
بالعبرانية إن شاء ، وبالعربية إن شاء ..

«هذا الناموس» وهو صاحب السر ، وهو هنا جبريل عليه
السلام ، وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام .. الناموس
الأكبر ..

«جذعاً» شاباً قوياً حتى ابالغ في نصرتك ..

«مؤزرأ» قوياً بليغاً ..

«لم ينشب» لم يلبث ..

«وفتر الوحي» احتبس ..

«ما انا بقارىء» ما أحسن القراءة .. او لست بقارىء
البتة ..

«فرجع بها» اي بالآيات وهي قوله ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ..

«يا ليتني فيها» أي في أيام النبوة ..

« اقرأ » أمر بإيجاد القراءة مطلقاً .. لا تختص بمقروء دون مقروء ..

« باسم ربك » أي اقرأ مفتتحاً « باسم ربك » أي قل بسم الله الرحمن الرحيم .. ثم اقرأ ..

« ﴿ اقرأ باسم ربك الذي ﴾ إلى قوله ﴿ ما لم يعلم ﴾ هذا صدر ما أنزل على رسول الله .. ﷺ .. يوم حراء .. ثم أنزل آخرها بعد ذلك وما شاء الله ..

« خلق الانسان » إيذان بأن الانسان أشرف المخلوقات ، ثم الامتنان عليه بقوله ﴿ علم الانسان ﴾ ، يدل على ان العلم اجلّ النعم ..

« علم بالقلم » إشارة إلى العلم التعليمي ..

« علم الانسان ما لم يعلم » إشارة إلى العلم اللدني ..

« لقد خشيت على نفسي » فأجابت خديجة بكلام فيه قسم وتأکید .. وذلك لإزالة لحيرته ودهشته ..

« أو مخرجي هم ١٢ » والعادة إن كل ما أتى للنفوس بغير ما تحب وتالف .. وإن كان ممن يحب ويعتقد .. يعافه ويطرده ..

الاسئلة والاجوبة

- لم ابتدء عليه الصلاة والسلام بالرؤيا اولا ؟.

- وأحيب بأنه ابتدء بها لثلا يفجأه الملك ، ويأتيه بصريح النبوة ولا تحملها القوى البشرية .. فبدىء بأوائل خصال النبوة ، وتباشير الكرامة ، من صدق الرؤيا ، مع سماع الصوت ، وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة ، ورؤية الضوء .. ثم اكمل الله له النبوة بارسال الملك في اليقظة ، وكشف له عن الحقيقة كرامة له .

- لم حبيب اليه الخلوة ؟

- أجيب بان معها فراغ القلب ..

وهي معينة على التفكير ، والبشر لا ينتقل عن طبيعته إلا بالرياضة البليغة ، فحبيب اليه الخلوة لينقطع عن مخالطة البشر ، فينسى المألوفات من عاداته ، فيجد الوحي منه مراداً سهلاً .. ويقال كان ذلك اعتباراً وفكرة كاعتبار ابراهيم ، عليه السلام ، لمناجاة ربه والضراعة اليه ليريه السبيل إلى عبادته ..

- متى كان نزول المَلَك عليه ؟

- 'روي ان نزول المَلَك عليه بحراء ، يوم الاثنين ، لسبع عشرة خلت من رمضان .. ورسول الله .. ﷺ يومئذ ابن اربعين سنة ..

- ما الحكمة في غطه ثلاث مرات ؟

- ليظهر في ذلك الشدة والاجتهاد في الأمور ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة ، فإنه أمر ليس بالهوينسا ، وكرره ثلاثا مبالغة في التثبيت ..

- ما الخشية التي خشىها رسول الله .. ﷺ .. حيث قال :
لقد خشيت على نفسي ؟

- قيل : خاف من الموت من شدة الرعب ، او خاف ان لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ، ولا يطيق حمل اعباء الوحي ، او العجز عن النظر إلى المَلَك وخاف ان ترهق نفسه وينخلع قلبه لشدة ما لقيه عند لقائه .. او خاف من قومه ان يقتلوه .. او حاف مفارقة الوطن بسبب ذلك ، او اخبار عن الخشية التي حصلت له على غير مواطنة .. بغتة .. كما يحصل للبشر إذا دهمه أمر لا يعهده ..

- من أين علم رسول الله .. ﷺ .. أن الجائي اليه ،

جبريل عليه السلام لا الشيطان ، وبهم عرف انه حق لا باطل ؟
- اجيب بأنه كما نصب الله لنا الدليل على ان الرسول عليه
السلام صادق لا كاذب ، وهو المعجزة ، كذلك نصب للنبي .
ﷺ .. دليلا على أن الجائي اليه مَلَك لا شيطان ، وانه من عند
الله لا من غيره ..

- ما الحكمة في فتور الوحي مدة ؟

- اجيب بأنه إنما كان كذلك ليذهب ما كان عليه الصلاة
والسلام وجده من الروح .. وليحصل له التشوق إلى العود ..

- ما كان مدة الفترة ؟

- اجيب بأنه وقع في تاريخ أحد بن حنبل .. أن مدة فترة
الوحي كانت ثلاث سنين ..

- ما الحكمة في تخصيصه عليه الصلاة والسلام التعبد بجراء من
بين سائر الجبال ؟.

- لأنه يرى بيت ربه منه وهو عبادة ..

استنباط الاحكام

- فيه دليل للجمهور أن سورة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أول ما نزل ..

- فيه أن مكارم الأخلاق .. وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع الشر والمكاره .. فمن كثر خيره حسنت عاقبته ، ورجى له سلامة الدين والدنيا ..

- فيه أنه ينبغي تأنيس من حصلت له مخافة ، وتبشير ، وذكر أسباب السلامة له ..

- فيه ابلغ دليل .. على كمال خديجة .. رضي الله تعالى عنها .. وجزالة رأيها .. وقوة نفسها .. وعظم فقهها .. وقد جمعت جميع أنواع أصول المكارم وامهاتها فيه عليه السلام .. لان الاحسان إما إلى الاقارب ، وما إلى الاجانب .. وإما بالبدن وإما بالمال .. وإما على من يستقل بأمره وإما على غيره !!!

فوائد ١٢

— خديجة بنت خويلد .. أم المؤمنين .. تزوجها رسول الله ..
عليه السلام .. وهو ابن خمس وعشرين سنة .. وهي أم أولاده كلهم ،
خلا إبراهيم فمن مارية .. ولم يتزوج غيرها قبلها .. ولا عليها ..
حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين — على الأصح — فأقامت معه
أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ، ثم توفيت .. وكانت وفاتها
بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام ..

وهي أول من آمن من النساء .. باتفاق .. بل أول من آمن
مطلقاً !!!

★

أقول : هذا حديث الإمام البخاري في صحيحه عن بدء
الوحي ..

وكانت تلك مقتطفات من شرح الإمام العيني .. على ذلك
الحديث الفذ العظيم ..

لقد كانت تلك هي أعظم لحظة في حياة خديجة .. عليها السلام ..

اللحظة التي جاءها فيها ، رسول الله .. ﷺ .. يخبرها بما رأى ..

فقالت : كلا .. والله .. ما يُخزيك الله أبداً !!

كانت وهي تنطق بهذا القول الخالد ، تنطق حقاً وصدقاً ..
فارتفعت بذلك فوق نساء العالمين جميعاً ..

« خير نساءها خديجة بنت خويلد .. » !!

كانت في تلك اللحظة .. أول من آمن على الإطلاق !!
وجدت فيها .. رسول الله .. ﷺ .. صوتاً يؤمن به .. أنه رسول الله حقاً وصدقاً ..

فحازت .. عليها السلام .. في تلك اللحظة .. درجة أسبق السابقين إلى الاسلام ..

شرف ١١٢ . ما أعظمه من شرف ١١٢

ولحظة ما أعظمها من لحظة ١١٢

لحظة : « كلا .. والله .. ما يُخزيك الله أبداً » !!

تورة ..

قريش ..

المضادة ؟!

الانبياء

كل الانبياء .. بلا استثناء .. أشد الناس بلاء !!

لماذا ؟

لأنهم أعلى الناس مقاماً ..

واكبر الناس عقولاً ..

وازكى الناس نفوساً ..

فتحتم أن تكون الضريبة المفروضة عليهم .. صلوات الله
عليهم .. اعظم الضرائب على الاطلاق ..

ذلك أن كل عطاء يقابله بلاء ..

فمن حيث أن عطاءهم أعظم العطاء .. استوجب أن يكون
بلاءهم أعظم البلاء ..

حتى لا يكون للناس حجة عند الله ..

فياي صعلوك ويقول : لماذا أعطيتهم ؟

الجواب : القينا عليهم من البلاء ما يوازي ما أعطيناهم
من العطاء !!

هنالك يخنس الصعاليك .. ويطأطئون خزايا !!
فكيف ورسول الله .. ﷺ .. سيد الأنبياء ..
كيف يكون مقدار ما تحمل من البلاء !!
قال تعالى :

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ..

إذن .. حتماً أن يكون البلاء كذلك عظيماً !!
كيف كان ذلك !!

كان محمد .. عندهم .. قبل أن يُبعث .. الأمين ..
فلما بعثه الله اليهم .. ثارت ثائرتهم .. وأجمعوا أمرهم في النهاية
أن يقتلوه !!

وارتفعت أصواتهم القبيحة .. كأنهم الحير المذعورة .. تتنادى
بضرورة إسكات صوت محمد !!

فما استطاعوا أن يسكتوه .. وما استطاعوا له تحويلاً !!
لقد أعلن النبي .. ﷺ .. ثورة الحق ..
فأعلنوا عليه الثورة المضادة !!

أعلنوها في عنف وكبرياء .. و صلف وغباء !!
أعلن النبيّ الأعظم اليهم .. أعلى ثورة في التوحيد ..
ثورة .. لا إله إلا الله !!
فواجهوها بثورة مضادة :

﴿ اجعل الآلة لها واحدا .. إن هذا شيءٌ عجاب ﴾ !!
هكذا بلغوا من الغباء !!
وأعلن النبيّ الأكرم اليهم .. أرقى ثورة في المساواة ..
ثورة ..

﴿ إن أكثركم عند الله اتقاكم ﴾ ..

فواجهوها .. بثورة مضادة .. أنهم هم السادة .. وعلى العبيد
ألا يرفعوا رأساً !!

وهكذا .. نكسوا على رؤوسهم .. فلا يفقهون قولاً !!
لماذا وقفت قريش تضاد الدعوة .. وكان الظنّ أن تكون
أول من ينصرها ؟

لأن الاسلام جاء يُسقط ما هم عليه من اوهام مقدسة ..
وضلالات متعفنة ..

والانسان لا يتحول عن سلوكه إلا في صعوبة بالغة ..
فلما عجزت قريش وأعيتها الحيل .. تنادوا بتعذيب من تابع
محمداً من المستضعفين ..

ولجأوا في ذلك إلى أخس الأساليب .. وأدنا المؤامرات ..
وكان من تلك المؤامرات .. أن الحت أمّ جميل .. زوجة أبي
لهب .. على ولديها .. عتبة وعُتَيْبَة .. ان يطلقا ابنتي رسول الله ..
ﷺ .. رُقَيْيَة .. وأم كلثوم ..
فطلقاهما .. وعادا إلى بيت أبيهما .. بيت خديجة .. عليها
السلام ..

لجأت أمّ جميل إلى ذلك .. كيداً وإغابة وانتقاماً !!
يظنون ذلك .. والله يريد أمراً .. غير ذلك ..
يريد ان يظهرهما .. من معاينة اعداء الله !!!

عندما قالت خديجة ..

ارسول الله ﷺ ..

اني لا رجو ان تكون ..

نبي هذه الامة ؟!

قال

ابن هشام :

مبعث النبي ﷺ وعلى آله وسلم تسليماً

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ محمدٌ رسول الله .. ﷺ .. اربعين سنة ، بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين ، وكافةً للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، واخذ عليهم ان يؤدّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ ، أَقَرَّرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شِئْتُمْ ۖ ﴾ ..

أي ثقل ما حملتكم من عهدي .

« قَالُوا أَقَرَّرْنَا ، » .

« قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، » .

فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وادّوا ذلك إلى مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ .

اول ما بدى به الرسول ﷺ

الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحاق :

فذكر الزُّهريّ عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدّثته :

أنّ أوّل ما بُدئ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النُّبوّة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرُّؤيا الصادقة ، لا يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلتق الصبح . قالت : وحَبَّبَ اللهُ تعالى إليه الخَلوة ، فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلو وحده .

تسليم الحجارة والشجر عليه ﷺ

قال ابن إسحاق :

وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء ابن جارية الثَّقَفي ، وكان واعية^(١) ، عن أهل العلم :
أنّ رسول الله ﷺ حين اراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنُّبوّة ،

(١) واعية - حافظاً ، والتاء فيه المبالغة .

كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسّر^(١) عنه البيوتُ ويُفضي إلى شعاب^(٢) مكة وُبطون أوْديتها، فلا يمرُّ رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت رسول الله ﷺ ، حوله وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .

ابتداء نزول جبريل عليه السلام

قال ابن إسحاق :

وحدثني وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير ، قال :

سمعتُ عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدثنا يا عبيد ، كيف كان بدء ما ابتدئ به ،

(١) تحسّر عنه البيوت تبعده عنه ويتخلى عنها

(٢) الشعاب . المواضع الخفية بين الجبال .

رسول الله ﷺ من النبوة ، حين جاءه جبريل عليه السلام ؟
قال : فقال : عبيدٌ - وأنا حاضرٌ يحدثُ عبدَ الله بن الزبير ومن
عنده من الناس - : كان رسول الله ﷺ ، 'يجاور' في حراء من
كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية ،
والتحنث التبرُّر .

قال ابن إسحاق :

وحدثني وهب بن كيسان قال :

قال 'عبيد' : فكان رسول الله ﷺ ، 'يجاور' ذلك الشهر من كل
سنة ، 'يطعم' من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله ﷺ
جواره من شهره ذلك ، كان أوّل ما يبدأ به ، إذا انصرف من
جواره ، الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبْعاً أو ما
شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي
أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه
الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله
ﷺ إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا
كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورَّحِمَ العبادَ بها ،

(١) يجاور : يعتكف

جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ :

فجاءني جبريل ، وأنا نائم ، بنمط^(١) من ديباج فيه كتاب ،
فقال اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغطني^(٢) به حتى ظننت
أنه الموت . ثم أرسلني فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ ؟

قال : فغطني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال :
اقرأ ؛ قال ، قلت : ماذا أقرأ ؟

قال : فغطني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال :
اقرأ ؛ قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن
يعود لي بمثل ما صنع بي ..

فقال :

﴿ اقْرَأْ بِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ .
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ..

(١) النمط : وعاء كالسفط .

(٢) الغت . حبس النفس .

قال : فقرأتها . ثم انتهى فأنصرف عني وهبتُ من^(١) نومي ،
فكأنما كنتُ في قلبي كتاباً .

قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وَسط من الجبل سمعت
صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ؛
قال : فرفعت رأسي إلى السماء أنظرُ ، فإذا جبريلُ في صورة
رجل صافٍ قَدَمَيْهِ في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت
رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وما
أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا
انظر في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك .

فما زلتُ واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي ..

حتى بعثتُ خديجةً رُسُلها في طلبي ، فبأثوا أعلى مكة ورجعوا
إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

(١) في حديث عروة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل
بسورة « اقرأ » كان في اليقظة

رسول الله ﷺ يقص على خديجة

ما كان من أمر جبريل معه ا

وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى
فعلها مضيقاً^(١) اليها . فقالت : يا أبا القاسم ، انّ كنت ؟ فوالله
لقد بعثت رُسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها
بالذي رأيت : فقالت : ابشر يا بن عمّ واثبت ، فوالذي نفس
خديجة بيّده إنّي لأرجو ان تكون نبيّ هذه الامة .

(١) مضيقاً ملتصقاً

خديجة بين يدي ورقة تحدثه

حديث رسول الله ﷺ

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من اهل التوراة والانجيل .

فاخبرته بما اخبرها به رسول الله ﷺ ، انه رأى وسمع .

فقال ورقة بن نوفل : 'قدوس قدوس' (١) ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس (٢) الأكبر الذي كان يساقي موسى ، وإنه لني هذه الأمة ، فقول لي له : فليثبت .

(١) قدوس قدوس : أي طاهر طاهر ، واصله من الهندوس ، وهو التطهير .

(٢) الناموس (في الأصل) : صاحب سر الرجل في خيره وشره ، فمهر عن الملك الذي جاءه بالوحي به .

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ ، فاخبرته بقول ورقة
ابن نوفل .

فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف ، صنع كما كانت
يصنع ، بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقية ورقة بن نوفل ، وهو
يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخي اخبرني بما رأيت وسمعت .
فاخبره رسول الله ﷺ ..

فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ،
ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى : وَلْتَكْذِبْنَهُ
وَلْتُؤْذِنَهُ وَلْتُخْرِجْنَهُ وَلْتَقَاتِلْنَهُ^(١) ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم
لأنصرنَّ الله نصرأ يعلمه .

ثم أدنى رأسه منه ، فقبل يافوخه^(٢) ، ثم انصرف رسول الله
ﷺ إلى منزله .

(١) الهاء في هذه الأفعال للسكت

(٢) اليافوخ : وسط الرأس .

امتحان خديجة برهان الوحي

قال ابن إسحاق :

وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير :

انه حدث عن خديجة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله ﷺ : اي ابن عم ، أستطيع ان أخبرني بصاحبك هذا الذي ياتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا جاءك فاخبرني به .

فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع .

فقال رسول الله ﷺ لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءني . قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى . قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها . قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحوّل فاجلس على فخذي اليمنى . قالت : فتحوّل رسول الله ﷺ فجلس على فخذه اليمنى . فقالت : هل تراه ! قال : نعم . قالت : فتحوّل فاجلس في حجري . قالت : فتحوّل رسول الله ﷺ فجلس في حجرها . قالت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قال : فتحسرت والقت خاها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها . ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يا بن عم ، اثبت وابشر ، فوالله إنه كلك وما هذا بشيطان . قال ابن إسحاق :

وقد حدثت عبدالله بن حسن هذا الحديث ، فقال : قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أني سمعتها تقول : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل . فقالت لرسول الله ﷺ إن هذا كلك وما هو بشيطان .

ابتداء تنزيل القرآن ا

قال ابن إسحاق :

فابتدىء رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان .

يقول الله عز وجل :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ .

وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ
الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ
وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ مِمَّنْ حَتَّى
مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

وقال الله تعالى :

﴿ حَمْدَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا
كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِبْدِنَا
إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾

وقال تعالى :

﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ . ﴾

وذلك 'ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُشركين
بيدٍ .

قال ابن إسحاق :

وحدثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن حسين : أن رسول الله
ﷺ التقى هو والمُشركون بيدٍ يوم الجمعة ، صبيحة سبع عشرة

من رمضان .

قال ابن إسحاق :

ثم تتامّ الوحيُ إلى رسول الله ﷺ ، وهو مؤمنٌ بالله مصدقٌ بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم ، والنبوةُ اثنال ومؤنة ، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا اهل القوة والزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يلقون من الناس ، وما يُرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسول الله ﷺ على امر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى .

اسلام خديجة بنت خويلد !

وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله

عنه بها إذا رجع إليها . تثبته وتخفف عليه ، وتصدقه وتهون عليه
أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

تبشير الرسول لخديجة ببیت من قصب ا

قال ابن إسحاق :

وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن
عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال

قال رسول الله ﷺ :

« أَمِرتُ أنْ أبشِّرَ خَدِيجَةَ ببیتٍ منْ قَصَبٍ ، لا سَعْبٍ
فیه ولا نَعَبٍ .

قال ابن هشام : القصب (ههنا) اللؤلؤ الجوف .

جبريل يقرئ خديجة السلام ا

قال ابن هشام :

وحدثني مَنْ اُتق به ، ان جبريل عليه السلام اُتق رسول الله ﷺ ، فقال : اُقرئ خديجة السلام من ربها . فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة ، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحي ونزول سورة الضحى ا

قال ابن إسحاق :

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه فاحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقسم له

ربه ، وهو الذي اكرمه بما اكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه .

فقال تعالى :

﴿ وَالصُّلْحَىٰ وَالشُّلْحَىٰ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ .

يقول : ما صرّمك فتركك ، وما ابغضك منذ احبّك .

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

اي لا عندي من ترجعك إليّ ، خيرٌ لك مما عجّلت لك من الكرامة في الدنيا .

﴿ وَاسْتَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

من النصّر في الدنيا والثواب في الآخرة .

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى .
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ .

يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومنّاه عليه في يُتمه وعيّلته وضلّالته ، واستنقّاذه من ذلك كله برحمته .

★

أقول : هذه دلائل عبقرية خديجة بنت خويلد ..

- يا أبا القاسم .. أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رُسلي في طلبك .. حتى بلغوا مكة ، ورجعوا لي !!

انظر إلى جمال الحوار ، ورقة السؤال !!

ثم يحدثها رسول الله ﷺ ، بالذي رأى ..

فتقول : أبشر يا بن عم ..

: واثبت ..

: فوالذي نفس خديجة بيده ..

. إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة !!

أقول : هذا المشهد الخالد .. مشهد تنفرد به خديجة ، عليها

السلام ، من دون نساء العالم إلى يوم القيامة !!

مشهد أوّل مَنْ آمَنَ على الإطلاق !!

مشهد : « أبشر يا بن عم واثبت » !!

إنها ، تقف من ورائه ، كالطود الشامخ ..

'تظله بثباتها .. وحنانها .. وإيمانها اللانهائي ..

كانت في تلك اللحظة .. اعظم نساء العالمين ..

تقف من وراء أعظم رسول إلى العالمين ..

هنالك وهي تقول وتقسم :

فوالذي نفس خديجة بيده .. إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه
الأمّة ..

هنالك ثلاث عبقرية خديجة .. عليها السلام ..

وثبت للناس جميعاً ، لماذا اختارها الله تعالى .. زوجاً لنبيّه ..
صلى الله عليه وسلم .. في تلك المرحلة العظمى من مراحل الدعوة
العُظمى ؟

خدیجہ ..

اَوَّل من نوضاً ..

وَأَوَّل من صلى ؟ !

فضيلة

أخرى من فضائل أم المؤمنين .. خديجة .. عليها السلام ..
أنها أول من صلى .. وأول من توجها .. من النساء على
الاطلاق !!

قال ابن هشام :

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

« افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ .. أول ما افترضت
عليه ركعتين ركعتين .. كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها
في الحضر أربعاً .. وأقرها في السفر على فرضها الأول ..
ركعتين .. »

تعليم جبريل .. الرسول .. ﷺ

الوضوء والصلاة

وحدثني بغض أهل العلم :

« أن الصلاة حين افترضت على رسول الله .. ﷺ .. أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي .. فانفجرت منه عين ..

« فتوضأ جبريل عليه السلام .. ورسول الله .. ﷺ .. ينظر اليه ..

« ليريه كيف الطهور للصلاة ؟

« ثم توضأ رسول الله .. ﷺ .. كما رأى جبريل توضأ ..

« ثم قام به جبريل .. فصلى به ..

« وصلى رسول الله .. ﷺ .. بصلاته ..

« ثم انصرف جبريل عليه السلام . »

تعليم الرسول .. ﷺ .. خديجة .. الوضوء والصلاة

- « فجاء رسول الله .. ﷺ .. خديجة ..
- « فتوضا لها ..
- « ليربها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل .
- « فتوضات ..
- « كما توضا لها رسول الله .. عليه الصلاة والسلام .
- « ثم صلى بها رسول الله .. عليه الصلاة والسلام ..
- « كما صلى به جبريلُ ..
- « فصلت بصلاته . ،

تعيين جبريل .. اوقات الصلاة ..

لِلرَّسُولِ .. ﷺ ..

عن ابن عباس قال :

« لما افترضت الصلاة على رسول الله .. ﷺ .. أتاه جبريل عليه السلام ..

« فصلى به الظهر حين مالت الشمس .. ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله .. ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس .. ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق .. ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ..

« ثم جاءه ..

« فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله .

« ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ..

« ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ..

« ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول ..

« ثم صلى به الصبح مُسْتَفِراً غير مُشْرِق ..
« ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك
بالأمس . »

اقول ، ها هنا فضيلتان للطاهرة ، عليها السلام ..
الأولى .. أنها أول مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى الْإِطْلَاق !!
الثانية .. أنها أول مَنْ صَلَّى عَلَى الْإِطْلَاق !!
فهي تسبق جميع الرجال ، وجميع النساء ، في هاتين
الفضيلتين ، إلى يوم القيامة !!

فإن قيل : مَنْ أَوَّلُ مَنْ تَوَضَّأَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّة ؟

قيل ، خديجة .. عليها السلام !!

وإن قيل ، مَنْ أَوَّلُ مَنْ صَلَّى فِي الْأَسْجَادِ ؟

قيل خديجة .. عليها السلام !!!

اهل البيت الكريم ..

يؤمنون تبعاً ..

بعد خديجة ..

عليها السلام ..!؟

أكرم

الله تعالى ، نبيّه ، ﷺ ، بإيمان زوجته ، خديجة .. عليها
السلام ..

فكانت له نعم صاحبة ، ونعم المعين ..
وكانت أوّل من توضّأ ، وأوّل من صلى ، من ورائه ..
ثم تتابع الخير ، في بيت النبوة ، الذي هو بيت خديجة !!

علي .. أوّل من آمن ؟

« ثم كان أوّل ذكرٍ من الناس ، آمن برسول الله ﷺ ..
« وصلى معه ..

« وصدّق بما جاءه من الله تعالى ..

« عليُّ بنُ أبي طالب .. بن عبد المطلب .. بن هاشم .. رضوان
الله وسلامه عليه ..

« وهو يومئذ ابنُ عشر سنين ..

« وكان مما أنعم اللهُ به على عليٍّ بن أبي طالب ، رضي الله
عنه ، أنه كان في حجر رسول الله ﷺ ، قبل الاسلام .. »

نشأته في حجر الرسول .. ﷺ ..

وسبب ذلك ؟

قال ابن إسحاق :

كان من نعمة الله على عليٍّ بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ،
واراده به من الخير ، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان
أبو طالب ذا عيال كثير . فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه ، وكان
من أيسر بني هاشم ، يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ،
وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ،
فلنخفف عنه من عياله ، آخذٌ من بنيهِ رجلاً ، وتأخذ انت رجلاً ،

فنكلها عنه . فقال العباس : نعم .

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لها أبو طالب : إذا تركتا لي عقيلًا فاصنعا ما شئتما .

فأخذ رسول الله ﷺ عليًا ، فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه ، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيًا ، فاتبعه عليّ رضي الله عنه ، وآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

خروج عليّ مع رسول الله ﷺ إلى شعاب مكة يصليان
ووقوف أبي طالب على أمرهما :

قال ابن إسحاق :

وذكر بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فكثا كذلك ما شاء

الله ان يكشف .

ثم إن أبا طالب عثر عليها يوماً وهما يصليان ، فقال
لرسول الله ﷺ : يا بن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟
قال : أي عم ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين
أبينا إبراهيم - أو كما قال ﷺ بعثني الله به رسولاً إلى العباد ،
وانت اي عم ، أحقُّ مَنْ بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ،
وأحقُّ مَنْ أجابني إليه وأعانني عليه ، أو كما قال .

فقال أبو طالب : اي ابن أخي ، إني لا أستطيع ان افارق
دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يُخلّص اليك بشيء تكرهه
ما بقيتُ .

وذكروا أنه قال لعليّ : أي بُنيّ ، ما هذا الدين الذي انت
عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، آمَنتُ بالله وبرسول الله ، وصدقته بما
جاء به ، وصليتُ معه لله واتبعته .

فزعّموا انه قال له : اما إنه لم يدعُكَ إلا إلى خير فالزمه .

اسلام زيد بن حارثة ثانياً

قال ابن إسحاق :

ثم اسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى
ابن امرئ القيس الكلبي ، مولى رسول الله ﷺ ، وكان أول ذكر
اسلم ، وصلى بعد علي بن أبي طالب .

نسبه وسبب تبني رسول الله ﷺ له

قال ابن هشام .

زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن
امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة
ابن ثور بن كلب بن وبرة .

وكان حكيم بن حزام بن خويلد قد قدم من الشام برقيق ،
فيهم زيد بن حارثة وصيف فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ،
وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ ، فقال لها : اختاري يا عمة اي
هؤلاء الغلمان شئت فهو لك .

فاختارت زيدا فأخذته ، فرآه رسول الله ﷺ عندها ،
فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فاعتقه رسول الله ﷺ وتبناه ،
وذلك قبل ان يوحى اليه .

ثم قدم أبوه عليه وهو عند رسول الله ﷺ ، فقال له
رسول الله ﷺ : إن شئت فاقم عندي ، وإن شئت فانطلق مع
أبيك ، فقال : بل اقيم عندك .

فلم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ،
وصلى معه ، فلما انزل الله عز وجل :

﴿ ادْعُوهم لابانهم ﴾ ..

قال : انا زيد بن حارثة .

★

أقول .. افتتحت خديجة .. عليها السلام .. قائمة الايمان
برسول الله ﷺ .. في بيتها الشريف .. بيت رسول الله ﷺ ..
ثم تتابع أعضاء البيت المبارك .. فآمن علي ، عليه السلام ..
أول صبي يدخل الاسلام ..
ثم آمن زيد .. فكان اول من آمن ، بعد علي .. من أعضاء
البيت الشريف ..
إلا أن خديجة .. عليها السلام ، قد سبقت الجميع إلى
الايان ..

وذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء !!

امّ المؤمنين ..

خديجة عليها السلام ..

في قلب الاممات ؟ !

عظمة

خديجة ، عليها السلام .. تتلألا أكثر فأكثر ..
كلما اشتد الأذى ، ونالت قريش من رسول الله .. ﷺ ..
ما نالت ..

وعذبت أتباعه ما عذبت ..

وهي ، عليها السلام .. تعيش تلك الأحداث الجسام ، لحظة
لحظة ، وحادثاً حادثاً ، لا تتزحزح ولا تلين ، ولكن تزداد
شموخاً وتصلباً في دين الله ..

والجوهر الثمين ، يظهر في الشدائد والحن ..

ومن هنا تتفوق خديجة ، على سائر نساء النبي ، صلى الله
عليه وسلم ..

لأنها كانت معه ، في أشد فترات الدعوة 'عنفاً' وتعذيباً
واضطهاداً ..

جاءه الوحي ، فكانت أول من آمن به وصدقته ..
وبعد ثلاث سنين من الدعوة إلى الله سرّاً ، أمره الله أن
يدعو الناس علانية ..

وهنا بدأت المعركة بين الحقّ والباطل ..
وخديجة تشهد هذا كله ، وتقف إلى جوار زوجها العظيم ،
في ثبات عظيم ..

كيف كان شعورها حين سمعت قول زوجها العظيم .. صلى
الله عليه وسلم :

« يا عمّ .. والله لو وضعوا الشمس في يميني .. والقمر في
يساري .. على أن أترك هذا الأمر .. حتى يظهره الله .. أو
اهلك فيه ما تركته . » 11

لقد ازدادت شعوراً ، أن محمداً .. ﷺ .. ذو عزيمة ليس
كثله عزيمة ..

وأنّ اعظم الشرف لها ، ان تكون زوجة ، لمن ليس كثله
أحد ، كان أو يكون !!

أم كيف كان شعورها ، حين علمت أن قريشاً تذاثروا بينهم
على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ .. الذين

أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذبونهم ،
ويقتنونهم عن دينهم ۱۱؟

ها هي تشعر بما يحمل زوجها العظيم ، ﷺ .. من آلام ، وهو
يرى أصحابه يُعذبون وهو لا يملك أن يمنعهم ۱۱

لماذا تصنع قريش هذا ، وما هي الجريمة التي ارتكبتها هؤلاء ۱؟
أم كيف كان شعورها ، حين أغرت قريش ، برسول الله ،
ﷺ .. سفهاءها ، فكذبوه ، وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر
والكهانة ، والجنون .. ورسول الله ، ﷺ ، 'مظهر' لأمر الله لا
يستخفي به ، مبادئ لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال
أوثانهم ، وفراقه لإيام على كفرهم ۱؟

وفكرت خديجة : أيمكن أن يتحمل أحدٌ كلَّ هذا ولا
يلين ۱؟

ولكنَّ محمداً ، العظيم ، لا يزداد إلا ثباتاً ، وإلا تبليغاً ۱۱
فتزداد خديجة عزيمة من عزمه ، ﷺ ، ونوراً من نوره ،
ﷺ ..

وما ظنك بامرأة تتشرف بمعاشره رسول الله .. ﷺ ، ليلاً
ونهاراً ، كيف يكون نورها ، وهداها ۱؟

أم كيف كان شعورها ، عليها السلام ، حين سمعت أن أشراف

قريش ، وثبوا إلى رسول الله ﷺ .. وثبة رجل واحد ،
وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟! - لا كان
يقول من عيب آلهتهم ودينهم - فيقول رسول الله ﷺ :
نعم .. أنا الذي أقول ذلك ..

فقام رجل منهم فاخذ بجميع ردائه ، فقام أبو بكر ، رضي الله
عنه ، دونه ، وهو يبكي ويقول : اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟!
ثم انصرفوا عنه !؟

إنها تعيش الأحداث لحظة لحظة ، وتتفعل بها لحظة بلحظة ..
لأن قطب الأحداث ، الذي عليه تدور ، هو زوجها ، ﷺ ،
الذي تحبه أكثر من نفسها وولدها والناس اجمعين !!

ام كيف كان شعورها ، عليها السلام .. حين علمت بأشد ما لقي
رسول الله ﷺ ، من قريش ، أنه خرج يوماً فلم يَلقه أحدٌ من
الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حرّاً ولا عبداً ، فرجع رسول الله ،
ﷺ ، إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه .. فانزل الله
تعالى عليه :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ١٢

كانت هي .. عليها السلام ، التي تدثره ، وتهون عليه !!
كم تساوي هذه اللحظة ، وهي معه ، ﷺ تشعر بشعوره ؟!

إنها عاشت معه ، وذاقت اشعاعات النبوة ، أعلى نبوة ،
تتشعشع من فؤاده ، أعلى فؤاد !!

ماذا أريد أن أقول ١١؟

أريد أن أقول قولاً عظيماً ..

أن النبوة أعلى .. واكمل .. وأشرف .. مستوى .. يحمله بشر على
الاطلاق !!

وهي لذلك اثقل حملاً من الجبال ..

يحملها صلوات الله وسلامه عليهم ، بأذن الله ، وعونه ..

ولولا ذلك ما أطاقوا حملها ..

فكيف بأعظم الرسل ، وخاتم النبيين ١؟

إنّ ما يحمل من اعباء النبوة ، شيء لا تدركه العقول !!

فكيف بزوجه التي تقف إلى جواره ، ليلاً ونهاراً ، في تلك

اللحظات الشاقة من مطلع النبوة ١؟

كيف كان تركيبها الإيماني ، أم كيف كان مستوى النور الذي

يسري في فؤادها ١؟

من الحتم أن يكن على أعلى مستوى .. من السمو .. والحكمة ..

والصبر .. والحنان ..

تجد الإشارة إلى ذلك مكنونة في قوله تعالى :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ..

﴿ نَسْنُنُ ..

﴿ كَاخْتَرِ مِنَْ الْفُسَاوِ .. ﴾ ١١

فكيف كانت .. عليها السلام .. وهي افضل نساته .. عليه

السلام ١١٢

فديعة عليها السلام ..

تشهد لهجرة زقية ..

مع زوجها عثمان ..

الى الجنة !؟

قال ابن هشام :

« فلما رأى رسول الله .. ﷺ .. ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ..

« وأنه لا يقدر على أن يمنهم مما هم فيه من البلاء ..

« قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد .. وهي أرض صدق .. حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ..

« فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. إلى أرض الحبشة .. مخافة الفتنة .. وفراراً إلى الله بدينهم ..

« فكانت أول هجرة كانت في الاسلام ..»

هجرة عثمان بن عفان .. ومعه امرأته رُقِيّة ..

بنت رسول الله ا

« وكان أوّل من خرج من المسلمين .. من بني أُميّة .. عثمان
ابن عفان ..

« معه امرأته .. رُقِيّة .. بنت رسول الله .. صلى الله عليه
وسلم ..

« فكان جميع من لحق بأرض الحبشة .. وهاجر إليها من
المسلمين ، سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ..
ثلاثة وثمانين رجلاً .. »

كيف تزوج عثمان .. رُقِيّة ١٩

تقدّم عبد العزّيّ (أبو هب) يخطب رُقِيّة .. وأم كلثوم ..

ابنتي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لولديه عتبة وعتيبة ..
وانتقلت رقية .. وأم كلثوم .. إلى بيت الزوجية ..
وما كاد رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يتلقى رسالة ربه ،
ويدعو إلى الدين الجديد ..
حتى أخرجت .. رقية وأم كلثوم .. من بيت أبي لُهب .. ورُدتا
إلى بيت أبيهما .. طالقين ..
تقدم عثمان إلى رسول الله ﷺ .. يسأله شرف المصاهرة ،
فزوجه ﷺ .. ابنته رقية ..
وكان عثمان بن عفان .. أول من هاجر إلى الحبشة ..
وهاجرت معه زوجته (رُقية) .. على قرب عهدهما بالزواج ..

عودة رقية .. مع العائدين ١٢

شاع عند المهاجرين إلى الحبشة .. أن قريشاً كُفّت عن إيذاء
المسلمين ..
فسار نفر منهم وقد بلغ عددهم ثلاثة وثلاثين رجلاً ، يتقدمهم

(عثمان بن عفان) .. وزوجه السيدة رقية ..

حتى إذا عبروا البحر ، ساعين إلى مكة فوجئوا أن ما سمعوه
كان خيالاً .. وأن التعذيب على أشده .. فدخلوا في جوار آمن
اجارهم ..

وآبت رقية إلى بيت أبيها .. ﷺ ..

هجرة رقية الى المدينة ١٢

ثم كانت الهجرة إلى المدينة ..

وهاجرت رقية في صحبة زوجها .. عثمان بن عفان ..

ثم كانت غزوة بدر .. وأقام عثمان إلى جانبها بمرضها .. رغم
حرصه على شهود المعركة ..

وماتت رقية ..

وشيعت (يثرب) بنت الرسول .. ذات الهجرتين ..



اقول .. هكذا شهدت خديجة .. عليها السلام .. هجرة ابنتها
رقية .. مع زوجها عثمان .. إلى الحبشة ..
إلا أنها لم تشهد هجرتها الثانية إلى المدينة ..
حيث كانت خديجة .. عليها السلام .. قد ماتت قبيل الهجرة
بثلاث سنين !!

فدريجة .. عليها السلام ..

صاعدة في المقاطعة والحصار ..

بجوار زوجها العظيم ﷺ !؟

المجرمون

فيهم عباقرة ..

والمؤمنون فيهم عباقرة ..

وفرق ما بين عبقرية المجرمين ، وعبقرية المؤمنين ..

أنّ المجرم العبقرى .. إذا فكر في فكرة جهنمية .. اندفع إلى تنفيذها .. لأنه لا يخاف حساباً ولا يؤمن بهذه الخرافات (كما يعتقد) التي تقيد المؤمنين !!

لكنّ المؤمن العبقرى .. إذا اهتدى إلى فكرة فيها إيقاع أو إيذاء للغير .. تراجع لأنه يخاف الله !!

ولقد كان زبانية قريش أئمة في الإجرام .. وعباقرة في الصدّ عن دين الله .. وإيذاء المؤمنين ..

وانتهت بهم عبقريتهم .. عبقرية الإجرام .. إلى فكرة جهنمية .. أن يقاطعوا بني هاشم مقاطعة تامة .. فلا يكلموهم ..

ولا يبيعوهم ولا يشترون منهم .. ولا يُزوَّجون ولا يتزوجون
منهم !!

وتعاهد العباقرة .. عباقرة الإجرام على ذلك ..

فكيف كانت القصة ١٢

وكيف كانت خديجة .. عليها السلام .. اثناء مدة المقاطعة
والحصار ١٣

وما هي مدة هذا الحصار .. وكيف تم رفعه ١٤

اعجبني في تصوير هذا المشهد الخالد .. ما جاء في كتاب
« خديجة أم المؤمنين » ..

وانقل اليك بعضاً منه ..

المقاطعة والحصار ١

« طالما دبر شياطين قريش ، وطالما مكر زعمائها للقضاء على
« محمد » ، وكانوا يبوءون بالفشل في إثر الفشل ، ولكنهم لم يياسوا
وظلوا يحكيكون مكرهم آملين ان يضعوا حداً لانتشار هذا الدين
الجديد ، وان يمنعوا إقبال الناس على الدخول فيه ، حتى أصبح التفكير

في ذلك شغلهم الشاغل .

وطال بينهم الجدل والأخذ والرد حتى كان آخر العام السادس
لنزول الوحي ، وهو آخر العام الثالث للجهر بالدعوة ، فقام
شيطان تفكيرهم إلى أمر لم يعهده العرب من قبل ، واتفقوا على
مؤامرة لا ترعى حرمة الجوار ، ولا حق ذوي القربى ، ولا ما
تعوده العرب جميعاً من الإبقاء على صلة الرحم والمصيبة للأهل
والأقارب ، واحترام حرمة النسب والمصاهرة .

فقد قرر أساطين الارستقراطية القرشية في مستهل السنة السابعة
من مبعث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وهم رؤساء وقادة
الاجلبية الساحقة من بطون قريش ، قرروا مقاطعة الأقلية الضئيلة
ممثلة في بني هاشم وبني المطلب مقاطعة اجتماعية واقتصادية كاملة
لا هوادة فيها ، وإجبار كل من في مكة ممن يهابون قريشاً ويخشون
بأسها على المشاركة في هذه المقاطعة ، ولذلك اتفقوا وتعاهدوا فيما بينهم
على أن لا يكلموهم ، ولا يتعاملوا معهم في بيع أو شراء ، ولا
يخالطوهم ، ولا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم .

وكان مشركو قريش وزعماءها يطمعون في ان تخيف هذه
المقاطعة الصارمة بني هاشم وبني المطلب ، فيسلموا اليهم « محمداً »
ليقتلوه ويتخلصوا منه ومن دعوته ، فإن لم يصلوا إلى هذه النتيجة
التي كانوا يطمعون في الوصول إليها ، فإنهم كانوا يأملون ان يفرقوا

بين بني هاشم وبني المطلب ، فينحاز بنو المطلب إلى بطون قريش
الأخرى ، ويتركوا بني هاشم وحدهم .

وكانوا يطمعون ، أكثر من ذلك ، في أن تؤدي قسوة المقاطعة
إلى أن ينفض عن محمد ، بعض أفراد بني هاشم الذين لم يكونوا
قد دخلوا بعد في دينه ، فيصبح القضاء عليه وعلى من بقي معه امراً
ميسوراً .

واراد زعماء الوثنية القرشية ان يدعموا هذا الاتفاق ، وان يجعلوا
له حرمة وقداسة بحيث لا تجرؤ بطن من بطون قريش على نقضه ،
فقرروا ان يثبتوا هذا التآمر ويدونوه في صحيفة ، ثم علقوا هذه
الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على انفسهم ، وبذلك اصبح لها
مهابتها واحترامها بين جميع المشركين من بطون قريش ، ومن القبائل
العربية المشتركة الأخرى .

وظل النبي ﷺ .. رابط الجاش ، ثابت العقيدة ، مسلماً
أمره إلى الله ، راضياً بقضائه وقدره ، لا يخشى تهديدهم ووعيدهم ،
مؤمناً بقوله سبحانه :

﴿ واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ﴾ ..

وكان يؤمن ان الله الذي ارسله بالحق لن يخلف وعده وسوف
ينصر عباده وأن :

﴿ طه العزة ورسوله والمؤمنين ﴾ ..

وظلت «ام المؤمنين خديجة» صامدة بجوار رسول الله .. ﷺ ..
وتشد من ازره ، وتهون عليه كل ما يدبره له قادة الأرستقراطية
القرشية من عبدة الأوثان ، وتخفف عنه ، ما استطاعت ، وقع
هذه المحنة المفاجئة ، واضعة نصب عينيها ، قوله تعالى مخاطباً
نبيه ﷺ :

﴿ واتبع ما يوحى إليك واسبر حتى يحكم الله وهو خير
الحاكمين . ﴾

وفوجيء جميع مشركي قريش في بداية هذه المقاطعة الظالمة
بانهيار املهم في الافساد بين بني هاشم وبني المطلب ، فقد وقف
هؤلاء وقفة رجل واحد وازداد تعاونهم في الذود عن «محمد» ،
وقرروا ان يضحوا في سبيل ذلك بكل مرتخص وغال ، واستهانوا
براحتهم ، وعرضوا أنفسهم لقسوة الحياة في سبيل هذا الغرض
السامي ، لا فرق في ذلك بين من آمن منهم بالله واليوم الآخر ومن
لم يكن قد آمن بعد .

أما المؤمنون منهم فقد كانوا يرون في ذلك دفاعاً عن دينهم ،
وعن حريتهم في اختيار العقيدة التي يرتضونها ، وذوداً عن المبادئ
الإنسانية السامية التي تدعو إليها هذه العقيدة .

وأما الذين كانوا ما يزالون على جاهليتهم ولم يؤمنوا بعد بالوحدانية ، فقد رأوا في المحافظة على « محمد » ومناصرته ، محافظة على شرف عشيرتهم وكرامتها ، ونجدة لذوي قرابتهم ورحمهم ، وقضاء على كبرياء وطغيان العشائر القرشية الأخرى ، وعلى ما كانت تقترفه من ظلم ، وعلى ما استباحته من حرمان .

ولم يشذ عن هؤلاء أحد إلا « أبو لهب » ، فإنه جبن عن مناصرة أهله وعشيرته ، وقاده كرهه « محمد » ورسالته إلى الانحياز إلى البطون القرشية الأخرى ، وإلى أن يعينهم على ظلم أهله وذوي قرابته .

وفي سبيل هذه المبادئ السامية ، ترك بنو هاشم وبنو المطلب بيوتهم وما فيها من الأثاث ووسائل الترف الأخرى التي كانت متاحة لهم في تلك الحقبة من الزمان ، وخرجوا ، في مطلع المحرم من العام السابع لنزول الوحي ، وهو أول العمام الرابع للجهر بالدعوة الإسلامية ، إلى شعب أبي طالب شرقي مكة ، ليعيشوا بين شعاب الجبال ورمال الصحراء ، حيث لا زرع ولا ماء ، وحيث يقاسون من قسوة الطبيعة وطقسها المتغير في تلك البيئة الجبلية الصحراوية ، ذات الحر اللافتح في الصيف ، والبرد القارس في الشتاء .

ولم يتخلف عن الخروج لحماية محمد أغنياء بني هاشم وبني المطلب الذين كانوا يتمتعون بالثراء ، وما كان يجلبه لهم من الرفاهية ، وبالحاء

الذي توارثوه عن آبائهم مثل « العباس بن عبد المطلب » الذي كان يملك الأموال الطائلة ، ويتجر في العطور التي كان يجلبها من اليمن ومن الشام ، فإنه لم يتقاعس عن أداء هذا الواجب على الرغم من أنه لم يكن قد دخل في الاسلام حتى ذلك الحين ؛ ولكنه هرع مع قومه إلى الشعب ليحيط ابن أخيه « محمداً » برعايته وحمايته ، ويكون مع أخيه الأكبر « أبي طالب » ومع عشيرته الأقربين يداً واحدة على من ظلمهم .

فقد كان « أبو طالب » وهو سيد قريش وزعيم بني هاشم وبني المطلب ، على رأس الداخلين إلى الشعب برغم شيخوخته التي كانت قد جاوزت الثمانين من عمره ، وبرغم ضعف جسمه وحاجته إلى الراحة والعيشة المسترخية الهادئة بعيداً عن كل مشقة ، وعن قسوة العيش في تلك البيئة .

ولكن الشيخ استجمع كل شجاعته ، وجمع حوله رجال بني هاشم وبني المطلب وفتيانهم ، وحمل معهم نساءهم وأطفالهم ودخل بهم إلى الشعب بين الجبال الوعرة والصحراء المقفرة ، حتى يستطيعوا أن يحموا « محمداً » ويندودوا عن شرف عشيرتهم ، ومحافظة على المكانة السامية والاحترام الذي كانوا يتمتعون به بين العرب كافة .

وكم كان وفاء جيلنا ان تخرج معهم السيدة خديجة ، وتترك بيتها حيث عاشت طوال حياتها عيشة رغدة بفضل ثروتها الطائلة

التي وفرت لها كل وسائل الترف ومكنتها من الاستمتاع بكل ما كان يمكن للمال ان يحصل عليه من الطيبات التي كانت تجلبها تجارتها الواسعة من إنتاج العراق وفارس والهند عن طريق رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

خرجت معهم في بداية شيخوختها بعد أن أشرفت على الحادية والستين من عمرها لتعيش بعيدة عن كل وسائل الراحة التي كانت تتمتع بها في بيتها ، وقد استعذبت ذلك دفاعاً عن دينها ، وحتى لا تتخلى عن زوجها وحبيبها الذي نعمت بجواره أسعد أيام حياتها ، ولم تعباً بما قد تتعرض له من مشقة ، وما قد يجهد جسمها الضعيف من المتاعب ، وما يقابلها من مرارة الحرمان وقسوة الطبيعة ، حباً في الاسهام في نشر دين الوجدانية ، ورغبة منها في الوقوف بجوار نبيها وزوجها تحيطه بعطفها ، وتظله بحبها وحنانها ، وتقاسمه الضراء كما قاسمته من قبل سعادة العيش .

وخرجت مع « خديجة » إلى الشعب ابنتها « أم كلثوم » ، وكانت ما تزال في مطلع شبابه زهرة يانعة أوشكت على الثالثة عشرة من عمرها ، وكانت معها أختها « فاطمة الزهراء » التي ما تزال تسبح في سعادة الطفولة البريئة التي تؤهلها لها سنّها التي لم تجاوز الحادية عشرة ، وكانتا تعيشان من قبل في بحبوحة من العيش المترّف ، حيث كانتا تنعمان بحياة سعيدة مستقرة ، وجدتا فيها كل ما كانت تتيحه لهما في ذلك العصر ثروة والديهما ، ولكن شاء القدر أن تنتقلا فجأة

إلى حياة خشنة لا راحة فيها وسط الجبال والوديان وبين رمال الصحراء القاحلة^(١) .

وشعر اساطين الأرستقراطية المشتركة بالنصر لأول مرة منذ بدأ الصراع بينهم وبين رسول الله .. ﷺ .. بعد الجهر بالدعوة ، فقد عمتهم السعادة التي لم يذوقوا لها طعماً طوال السنوات الثلاث الماضية ، وأصبحوا عندما خلت مكة من بني هاشم وبني المطلب يشعرون بأنهم لم يتخلصوا من « محمد » وحده ، ولكنهم انتصروا على هذين الرهطين اللذين كانا يتنافسان مع باقي عشائر قريش ، وكانا يتغلبان عليهم بكرمهم ووداعتهم وحسن اخلاقهم مما حبيب فيهم العرب قاطبة .

وظنوا ، وبعض الظن إثم ، أن هذين الرهطين لن يلبثا طويلاً حتى يذعننا ويستسلموا صاغرين اليهم يفعلون بها و « بمحمد » ما يشاءون فيتخلصون منه ، ويمتدون دعوته ويقتلون قتلًا لا قيامة لها بعده وهي في العام الرابع من الجهر بالدعوة .

وبدأت المعيشة في الشعب وسط الجبال تحت قبة السماء بعيدة

(١) كانت زينب في كنف زوجها أبي العاص بن الربيع الذي كان يحبها ويحميها ، وكانت رقية لا تزال مع زوجها عثمان بن عفان في هجرتهما بالحبيشة .

عن البيوت التي بناها وعاش فيها آباؤهم من قبل .

وكان أبو طالب يخشى أن تنسلل في الليل شياطين قريش لاغتيال ابن أخيه ، فقرر اتخاذ الحيلة ، وتشديد الحراسة عليه طوال الليل ، وكان طوال مدة إقامتهم في الشعب

« يأمر رسول الله ﷺ فيأتي فراشه كل ليلة ، حتى يراه من أراد به شراً أو غائلة ، فإذا نام الناس امر أحد بنييه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ .. وأمر رسول الله أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها » .

واستمرت المعيشة في الشعب أكثر مما كان يتوقع لها الهاشميون والمطلبيون ، ونفذ ما كانوا قد حملوه معهم من زاد ، ولما أرادوا أن يعوضوا ما فقدوه بشراء غيره ، وجدوا أن أسواق مكة كانت مغلقة أمامهم ، وأن أحداً من تجارها كان لا يجرؤ أن يبيعهم شيئاً .

ولما حانت إحدى المواسم التي كانت تعج بها مكة ، خرجوا ليشتروا من القوافل الوافدة إلى البيت الحرام من أرجاء الجزيرة العربية ..

ولكن شياطين مشركي قريش كانوا أسبق منهم إلى شراء كل ما كانت تحمله معها تلك القوافل من طعام أو إدام ، وإلى التنبيه

على رجال القوافل بعدم التعامل مع المحاصرين بيعاً أو شراء ، وبذلك قطعوا عنهم الأسواق ، ولم يستطيعوا أن يشتروا ما يقوتون به أنفسهم وعيالهم .

وكان « أبو لهب » من أنشط الداعين إلى مقاطعتهم ، فقد كان يقصد الوافدين على مكة من القبائل العربية ، ويغريهم بالوعود البراقة والربح الوفير حيناً ، أو يخوفهم بالوعيد حيناً آخر ، وكان يضمن لهم أن لا تبور تجارتهم ، ويعدهم أن يشتري منهم كل ما يتبقى عندهم من متاع أو بضاعة بأوفر الأثمان .

وهكذا شح الزاد في الشعب ، وجاع الأطفال ، وكان أهلهم يطبخون لهم أوراق الشجر ، وبعض النباتات البرية التي تنبت في الصحراء ، أو على سفوح الجبال ، وكانوا يأكلونها كارهين لأنهم لا يجدون غيرها ليقتاتوا به .

ومر عام طويل على هذا الحصار ، وساءت حال بني هاشم وبني عبد المطلب ، وسعد بذلك شياطين قريش وسفهاءهم ، وظنوا أن كهرياء المحاصرين سوف تنهار عن قريب ، وأنهم ولا شك سوف يذعنون ويسلمون اليهم « محمداً » يفعلون به ما يرون .

ولكن نقرأ من حكايا قريش ، وذوي المروءة والمكانة فيها ساءهم كل ذلك ، وأشفقوا أن تهلك أطفال المحاصرين جوعاً ، وأن يذل بطنان من أعز بطون قريش ظلماً ، فراحوا يرسلون لهم الطعام سراً ،

فثارت نائرة سفهاء قريش ، وأحكموا الحصار وبشوا العيون والأرصاد حوله .

وتأكد لهم أن « هشام بن عمرو العامري » يصل من في الشعب فيرسل لهم الطعام بين الحين والحين .

و « عمرو » هذا هو أخو « نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه » ، وكان من ذوي الفضل والمروءة ، محباً للهاشميين ، وواصلاً لهم .

وتربص شياطين قريش ، فعثروا على جمال ثلاثة أرسلها « عمرو » إلى الشعب في جنح الليل محملة بالطعام ، فلما أصبح الصباح ذهبوا إليه ولاموه على ذلك ، فوعدهم أن يوقف إرسال معونته إلى الشعب .

ولكنه سرعان ما ندم على هذا الوعد ، وعز عليه أن لا يصل أهله إبان محنتهم ، وإن يتركهم يتضورون جوعاً ، فأرسل إلى الشعب جملين آخرين يحملان الزاد .

وقامت قيامة سفهاء قريش ، واشتد غضبهم ، وراحوا يؤنبونه لخروجه على إجماعهم ، وأغلظوا له في القول ، ثم هددوه بالقتل إن هو عاد إلى مثل ذلك .

وكان « أبو سفيان بن حرب » ، زعيم بني أمية وسيدها ، حاضراً ، فاستفزه تانيبهم « لهشام العامري » ، وأغضبه تهديدهم له ، وغلبت عليه شهامته ، فوجه اليهم أشد الملامة ، وقال إن « هشام » لم

يرتكب إثمًا ، وإنما دفعته الشهامة والمروءة إلى أن يصل أهله ، وأن يعين ذوي قرابته عند الشدة ، وكان الأجدد بقريش أن تفعل مثل ما فعل .

وذعر سفهاء قريش لناصره « أبي سفيان » لأحد الخارجين عما جاء في صحيفة المقاطعة ؛ ولكنهم خشوا أن يجادلوه ، فقد يدفعه ذلك إلى الانضمام هو وقومه إلى « هشام » وأمثاله ممن يعينون المحاصرين ، فكظموا غيظهم ولم يجروا أحدهم على مخالصة « أبي سفيان » .

وداوم « هشام » العامري على كرمه ومروءته ، فكان يقود الناقة بنفسه في جوف الليل البهيم محملة بالطعام ويأتي بها إلى مدخل من مداخل الشعب ، ثم يوجهها ناحية المحاصرين ، ويضربها على جنبها فتسرع داخلة إلى الشعب ، حيث يتلقفها المحاصرون .

ومر عام آخر طويل على هذا الحصار الذي لم تسمع العرب بمثله من قبل ، وكان الطعام الذي يصلهم خفية مما يرسله ذوو المروءة والفضل لا يكفي لسد حاجة المحاصرين ، وهزل الكبار والصغار ؛ ولكنهم جميعاً صبروا صبر الكرام على شدة البلاء ، وهول جوع الأطفال الذين طالما باتوا طوال ليلهم يبكون ويتألمون وهم يتضورون جوعاً ، بكاء كان يسمع من خارج الشعب .

وكان أهل بيت النبي جميعاً يتحملون مرارة الجوع وآلامه ، كما كان يتحملها أهلهم المحاصرين .

ولكن « خديجة » لم تقف مكتوفة اليدين أمام هذه النكبة المفاجئة بل كانت تبذل كل ما تستطيع من جهد ومال لتنقذهم من الهلاك ، فكانت ترسل إلى أهلها يشترون لها الطعام ويرسلونه سرّاً إلى الشعب ، وكان أهلها وعشيرتها نبلاء وأوفياء لها ، فلطالما كانت قبل هذه المحنة كريمة معهم ، تصلهم ببرها ، وتقد كل محتاج منهم بمعونتها ، فبادلوها عند شدتها وفاء بوفاء ، وحباً بحب ، ولا يعلم إلا الله وحده كم أنفقت من مالها في سبيل تزويد المحاصرين بكل ما استطاعت ان تجلبه لهم ، فكانت لهم نعمة وعوناً قيضها الله سبحانه لإغاثتهم .

وكان ابن أخيها « حكيم بن حزام بن خويلد » يقود بنفسه الجمال محملة بالطعام إلى الشعب .

ولقيه ذات مرة « ابو جهل » ومعه غلام يحمل قمحاً لعمته خديجة بنت خويلد ، فامسك بتلابيبه ، واقسم ان لا يرح مكانه حتى يفضحه في مكة ..

فقد كان في نظره يرتكب جريمة شنعاء ، هي الخروج على ما تعاقدت عليه قريش ، وعلى ما كتبوه في الصحيفة المعلقة في جوف الكعبة .

وجاء « ابو البختری بن هاشم بن أسد » فنهر « ابا جهل » وقال له : طعام كان لعمته عنده بعثت اليه فيه ، أفتمنعه ان يأتيها بطعامها ؟ خل عن الرجل .

وأبى « أبو جهل » ، فتماسك الرجلان بالأيدي ، وتعاركا عراكاً طويلاً ، فضرب أبو البختري أبا جهل على رأسه فشججه ، ثم القاء على الأرض وجعل يركله بقدميه ..

ولكنهما شعرا ان « حمزة بن عبد المطلب » جاء ووقف بالقرب منهما يرى ويسمع عراكهما .

وكانت قريش تكره ان تصل اخبار مثل هذا العراك والشجار إلى رسول الله .. ﷺ .. واصحابه ، فيشتمتوا فيهم ، ولذلك كفوا عن هذا الصراع ، ودخل القمح إلى الشعب .

وسارت الأيام بطيئة ثقيلة ، ومرت الليالي على المحاصرين طويلاً ومضنية ، حتى اوشك العام الثالث على الحصار ان ينتهي ، وكان كل ما يصل اليهم من الطعام خفية لا يغني ولا يسمن من جوع ، حتى هزل الصغار ، وضعف الكبار .

ولكنهم كانوا كراماً على أنفسهم ، محافظين على عزتهم ، يفضلون هذا الموت البطيء على أن يهنوا أو يذلوا أمام جبابرة قومهم .

واسرف سفهاء قريش في بغيهم ، واستمروا في طغيانهم ، وبذلوا الجهود في محاولة إحكام الحصار على الشعب ، وكانت محنة أشفق منها كرام قريش وعقلاؤها .

فقد أدركوا أن عناد هؤلاء السفهاء وطغيانهم سوف يؤدي إلى

حرب تجويع بطيء حتى الموت لفريق من أكرم قريش حساباً ،
وأعزهم نسباً ، وأحسنهم خلقاً ، وإن فناء هذا الفريق سوف يكون
على مدى الدهر عاراً وسبة في تاريخ قريش .

أدرك ذلك فريق من كرام قريش ، وخطر على بال كل واحد
منهم ذلك إذا خلا إلى نفسه ، فجعل يلومها ويأسف على ما حل
بالمحاصرين .

وكان أسبق من حملتهم المروءة على هذا التفكير المتزن « هشام بن
عمرو العامري » ، وكان كما رأينا يفضل المحاصرين ما استطاع إلى ذلك
سبيلاً ، وقد دفعته شجاعته ومروءته إلى أن يسعى حتى جمع حوله
أربعة آخرين اختارهم من ذوي العقل والمكانة بين عشائر قريش ،
ومن تربطهم بالمحاصرين صلة القرابة والرحم ، فتشاوروا واتفقوا
فيما بينهم على أن يمزقوا الصحيفة المعلقة في جوف الكعبة .

ومن الخير أن نذكر ، بشيء من التفصيل ، بعض ما ورد إلينا
من خبر هذا السعي النبيل مما كان أحد الأسباب التي أدت إلى
فض الحصار :

بدأ « هشام العامري » بالذهاب إلى « زهير بن أبي أمية المخزومي » ،
وهو ابن « عاتكة » عمّة رسول الله ﷺ .. وأخذ يعيّرهُ لأنه أسلم
أخواله « لأبي جهل » وعصته وتركهم يتضورون جوعاً ، بينما هو
يستمع بأطيب الطعام ، ويلبس أحسن الثياب .

وعيره كذلك أنه خضع في ذلك « لآبي جهل » واطاع أمره ، وان
« أبا جهل » ، لم يكن ليرضى لأخواله مثل هذا المصير لو أنه دعى إلى
مثل ذلك .

ويجدر بنا أن نثبت بعض هذا الحوار كما ورد إلينا ..

قال هشام : يا زهير أقدر رضىت ان تاكل الطعام ، وتلبس الثياب ،
وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ولا يبتاع منهم ؟ . أما إني احلف
لو كانوا اخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك اليه ما
أجابك اليه أبداً .

قال زهير : ويحك يا هشام ! فماذا اصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ،
والله لو كان معي رجل آخر لقمت في تقضها حتى أنقضها .

هشام : قد وجدت رجلاً .

زهير : فمن هو ؟

هشام : أنا .

زهير : ابغنا رجلاً ثالثاً .

فذهب هشام إلى « المطعم بن عدي بن عبد مناف » فقال له :
يا مطعم أقدر رضىت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف وانت شاهد على
ذلك ، موافق لقريش فيه ! اما والله لئن مكنتموهم من هذه لتجدنهم

اليها منكم سراعاً !

قال المطعم : فماذا اصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

هشام : قد وجدت ثانياً .

المطعم : من هو ؟

هشام : أنا .

المطعم : ابغنا ثالثاً .

هشام : قد فعلت .

المطعم : من هو ؟

هشام : زهير بن ابي امية .

المطعم : ابغنا رابعاً .

فذهب هشام إلى البختري بن هشام ، فقال له نخبواً لنا قال للمطعم

ان عدي .

فقال البختري : وهل من احد يعين على هذا ؟

قال هشام : نعم .. زهير بن ابي امية ، والمطعم بن عدي ،

وانا معك .

فقال المطعم : ابغنا خامساً .

وذهب هشام إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلّمه
وذكر له قرابتهم وحقهم .

فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟
فقال : نعم .

ثم سمي له القوم .

اتفق الخمسة على ان يتقابلوا في مكان باعلى مكة يقال له خطم
الحجون ، وهناك اجعوا امرهم ، وتعاهدوا على القيام في امر
الصحيفة حتى ينقضوها ، وان يبدأ زهير الكلام ، ويندس الآخرون
وسط زعماء قريش في نواديهم المنتشرة حول الكعبة ، ثم يؤيدوه
من مختلف النواحي .

وكان النبيّ .. صلى الله عليه وسلم . طوال هذه السنوات
الثلاث المضنية ، راضياً بقضاء الله وقدره ، صابراً على هذه المحنة
القاسية ، يجوع كما يجوع اهله واقرباؤه ، ويقتات مثلهم على اوراق
الشجر وجذور النباتات البرية ، لا يخشى إلا الله ، ولا يخاف إلا من
غضبه ، دائباً على دعوة قومه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، صابراً على
أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزئهم به ..

وكان الوحي متتابعاً في نزوله بالآيات الكريمة التي تذكر

أوامر الله ونواهيه ، ووعدته ووعدته ، وتحض على مكارم الأخلاق .

وكا كان - ﷺ - دائم التضرع إلى الله سبحانه أن يجعل للمحاصرين مما هم فيه مخرجاً ، وأن يهبهم بعد العسر يسراً .

واستجاب الله سبحانه لدعائه ، فأطلعه أنه سلط حشرة الأرضة على الصحيفة الظالمية ، فلحست كل ما كان مكتوباً فيها من جور وظلم ، ولم يبق عليها إلا ما كان مكتوباً في صدرها وهو :

« باسمك اللهم » ..

وبادر النبي - ﷺ - فذكر ذلك لعمه « أبي طالب » ، فدهش وقال
أحق ما تخبرني يا ابن أخي ؟
قال : نعم والله ..

فجمع « أبو طالب » على الفور إخوته وذكر لهم ذلك .

فقالوا له : ما ظنك به ؟

فقال : والله ما كذبتني قط ..

قالوا : فما ترى ؟

قال : أرى أن تلبسوا أحسن ما تجدون من الثياب ، ثم تخرجون

إلى قريش ، فنذكر ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر .

وخرج « أبو طالب » وإخوته إلى المسجد الحرام وقد استولى عليهم الخوف ، وجلسوا تحت الحجر الأسود ، وكان لا يجلس تحته إلا زعماء قريش وأهل الرأي والمكانة فيها .

ودهش كل من كان في مجالس قريش ونواديها ، وظن أكثرهم أن الجوع ومتاعب العيش داخل الشعب قد أنهكتهم ، وقضت على كبريائهم ، واعتقدوا أنهم سوف يعلنون استسلامهم ، وأنهم سوف يسلمون لقريش « محمداً » دون قيد أو شرط ، فعمهم البشر .

وتكلم أبو طالب فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التي فيها موثيقكم ، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ..

وإنما قال لهم « أبو طالب » ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها .

فلما أتوا بها ووضعوها بينهم قالوا لأبي طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أخذتم علينا وعلى أنفسكم .

فقال أبو طالب : إنما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ، إن ابن أخي أخبرني ، ولم يكذبني ، أن هذه الصحيفة التي بين أيديكم قد بعث الله عليها دابة ، فلم تدع فيها إسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه

الظلم والقطيعة والبهتان ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا فلا والله لا نسله حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتهم .

وبدا الارتياح والرضا على وجوه المشركين ، وظنوا ان « ابا طالب ، إنما يعرض عليهم ذلك ليجد وسيلة يحفظ بها على بني هاشم وبني المطلب ماء وجوههم ..

فالوثيقة التي بين أيديهم كانت سليمة ومطوية ، ومختوماً عليها بالخواتيم الثلاثة التي ختمت بها عند تعليقها في جوف الكعبة ، ولذلك رأوا ان يحاملوه حتى يتم لهم النصر ويسلم لهم « محمداً » .

فاظهروا الرضا قائلين : لقد انصفتنا ورضينا بما تقول .

وتعاقدوا معه على ذلك وهم جلوس تحت الحجر الأسود .

وفضوا الاختام ، وفتحوا الصحيفة ثم نظروا فيها ، فإذا هي كما ذكر النبي الصادق الأمين خالية من كل ما سطر فيها من بغي ومقاطعة وقطيعة رحم ، وليس فيها إلا : باسمك اللهم .

فبهتوا جميعاً ووقفوا حيارى ، لا يدرون ما يصنعون ، ونكسوا على رؤوسهم .

ولكن سرعان ما عادت شياطينهم إلى إظهار السخط والندم على تعاقدهم معه ، وعادوا بقيادة « ابي جهل » إلى غطرتهم وبغيهم

وقالوا : هذا سحر ابن أخيك ا

فقال أبو طالب : علام نجبس ونحصر وقد بان الأمر ؟

ثم دخل هو وأصحابه بين استار الكعبة وقال بصوته الجمهوري :
اللهم انصرنا من ظلمنا ، وقطع ارحامنا ، واستحل ما يحرم عليه منا .
ثم انصرفوا عائدين إلى الشعب .

واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء شيخ بني هاشم .

إذ رأى الخمسة الذين تعاهدوا على نقض الصحيفة ، غدر سفهاء
قريش لعهدهم ، ونكثهم لتعاقدهم مع « أبي طالب » .

فوقف « زهير بن أمية » تحت الحجر الأسود وقال : يا أهل
مكة ، انا كل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكي ، لا
يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة
الظالملة .

وثار أبو جهل وانتفض قائلاً : كذبت والله لا تشق .

وتصدى له « زمعة بن الأسود » ، وكان في ناحية أخرى من
المسجد ، فصاح في « أبي جهل » قائلاً : انت والله اكذب ، مارضينا
كتابتها حيث كتبت .

وصاح البختري ، وكان في ناحية ثانية من المسجد ، وقال بأعلى

صوته : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرّ به .

وتقدم المطعم بن عدي من الناحية الثالثة من المسجد ، وصاح في أبي جهل ، وقال مخاطباً زملاءه : صدقتا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها .

وهب هشام بن عمرو واقفاً وصاح غاضباً وهو يخاطب زملاءه بقوله : صدقتم وكذب من قال غير ذلك ، والله لا نرضى بهذه الصحيفة الظالة ، لقد كانت شؤماً منذ ساعة كتابتها ، وشت يد كاتبها ، والله لن نرضى حتى نشقها ويعود أهلنا من بني هاشم وبني المطلب إلى بيوتهم .

واسقط في يد أبي جهل ، وتملكته الحيرة ، فلم يعد يملك زمام نفسه ، واعتقد أن أكثر من بطن من بطون قريش قد اتفقوا على نقض الصحيفة ، وأنه هو وقومه لا قبل لهم بهم ، ولن يستطيعوا الوقوف في سبيلهم .

فقال ، وقد استولت عليه حسرة اليأس ، وذل الهزيمة : هذا أمر قضى بليل ، تشوور فيه بغير هذا المكان .

وتقدم المطعم بن عدي بخطى ثابتة ، فمزق الصحيفة شراً ممزقاً ، وذهب الخمسة الذين تعاونوا على نقض الصحيفة وتمزيقها في نفر من أهلهم وأعاونهم لأبسین السلاح إلى شعب «إبي طالب» ثم عادوا

مع بني هاشم وبني المطلب إلى مكة .

ودخل الذن كانوا بالأمس مبعدين ومحصورين في الشعب إلى
بيوتهم رافعي رؤوسهم .

لم يهنوا ولم يذلوا ولكنهم صبروا وصابروا طوال اعوام ثلاثة ،
حتى جعل الله لهم من امرهم يسراً ، ومما كانوا فيه من الضيق والحبس
فرجاً ومخرجاً .

وكان رجوعهم في مستهل العام العاشر لمبعث رسول الله -
ﷺ - .

وعلم « ابو جهل » واضرابه من سفهاء قريش ان بني هاشم وبني
المطلب اصبحوا في منعة ، يعتزون باعوان اشداء لن يسلوهم
لأعدائهم ، فاسقط في أيدي المشركين بعد ان تجرعوا مرارة الخزي
والفشل .. »

★

أقول .. بطولة أخرى من بطولات خديجة .. عليها السلام ..
سيدة أشرفت على الحادية والستين من عمرها .. تتحمل كل ذلك
العذاب في سبيل الله .. وتشارك بأموالها في تخفيف وطأة الحصار
على مَنْ بالشَّعب ..

إنها سيِّدة عظيمة .. جليلة .. جديرة بالتوقير والتعظيم !!
اليك بعضاً مما قالوا في تصوير ما كان يلقى أهل الشعب من
الجوع :

« يحكى أن المؤمنين جاهدوا من ضيق الحصار ، حتى لأنهم
كانوا يأكلون الخبط ، وورق السم ، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع
الشاة ..

« وكان فيهم سعد بن أبي وقاص ، روى أنه قال : لقد جعت
حتى إني وطئت ذات ليلة على شيء رطب ، فوضعت فيه فمي وبلعته ،
ومما أدري ما هو إلى الآن .

« وكانوا إذا قدمت العير مكة ، وأتى أحدهم السوق ليشتري شيئاً
من الطعام لعياله ، يقوم أبو لهب ، عدو الله فيقول : يا معشر
التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فقد
علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فانا ضامن أن لا خسار عليكم .

« فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً ، حتى يرجع إلى

أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يديه شيء يطعمهم به ،
ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشترؤا من الطعام واللباس ،
حتى جهد المسلمون ، ومن معهم جوعاً وعرياً ، .

هذا قليل من كثير .. عاناه المحاصرون في الشعب ..

على امتداد ثلاث سنين ..

وكانت خديجة .. في قلب المعركة .. معركة التجويع ..
والامانة ..

وزادها شرفاً .. أنها كانت قد تجاوزت الستين !!

هل شهدت ..

فديحة عليها السلام ..

معجزة الاسراء والمعراج !؟

قال سبحانه :

﴿ مُبِيعًا الَّذِي أُمْشِرَى بِهِدٍ لِيَاذَ مَنْ الْمُشْجِدِ
الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ
آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ﴾

[الإسراء : ١]

هذا عن الاسراء .. فهذا عن المعراج ١٢

قال سبحانه :

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝
﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

[النجم ١٧ و ١٨]

والسؤال الذي نطرحه هنا :

هل شهدت السيدة خديجة .. عليها السلام .. حادث .. أو
معجزة الإسراء والمعراج ؟

قال الامام النووي .. شرحاً على حديث الإسراء .. في صحيح
مسلم :

« إن الإسراء اقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة
عشر شهراً ..

وقال الحربي :

« كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة
بسنة ..

وقال الزهري :

« كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة سنين ..

وقال ابن إسحاق :

« أسرى به ﷺ وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل ..

« واشبه هذه الأقوال .. قول الزهري .. وابن إسحاق ..

« إذ لم يختلفوا أن خديجة .. رضي الله عنها .. سلت معه ..
ﷺ .. بعد فرض الصلاة عليه ..

« ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة .. قيل بثلاث سنين ..
وقيل بخمسر ..

« ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كانت ليلة
الاسراء .. »

اقول .. إذا اخذنا بالرأي القائل بأن الاسراء كان في السنة
الخامسة .. أو بعد أن فشا الإسلام بمكة والقبائل ..

انتهينا إلى رأي يقول : بأن خديجة . عليها السلام .. كانت
حاضرة .. وعلى قيد الحياة .. عند وقوع معجزة الاسراء
والمعراج ..

وانها شهدت الأيام التي كانت فيها المعجزة ..
وانها صلت مع رسول الله .. ﷺ .. بعد فرض الصلاة
عليه .. في ليلة المعراج !!

فكيف كان الاسراء .. وكيف كان المعراج .. وماذا جرى
فيها !!؟

ذكر الاسراء والمعراج

قال ابن هشام :

ثم اسرى برسول الله .. ﷺ .. من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. وهو بيت المقدس من إيلياء (مدينة بيت المقدس) .. وقد فشا الاسلام بمكة في قريش .. وفي القبائل كلها ..

رواية عبدالله بن مسعود

عن مسراه ﷺ

فكان عبدُ الله بن مسعود - فيما بلغني عنه - يقول :

أتى رسولُ الله ﷺ بالبراق - وهي الدابةُ التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها في منتهى طرفها - فحُمِل عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآيات فيما بين السماء والارض ،

حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في كفر من الأنبياء قد جمعوا له ، فصلّى بهم .

ثم أتى بثلاثة آية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء .

فقال رسول الله ﷺ : فسمعتُ قائلاً يقول حين عرضت عليّ :
إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى
وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته .

قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه
السلام : هديت وهديت أمتك يا محمد .

حديث الحسن عن ممره ﷺ

قال ابن إسحاق :

وحدثت عن الحسن أنه قال :

قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم في الحجر ، إذ جاءني
جبريل ، فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئاً ، فعدت إلى
مضجعي .

فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمه ، فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدت
إلى مضجعي .

فجاءني الثالثةَ فهمزني بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بعَضِي ،
فقامت معه ، فخرج (بي) إلى بابِ المسجد ، فإذا دابةٌ أبيض ، بين
البغل والحمار ، في فخذيه جناحان يحفزان^(١) بها رجله ، يضع
يده في منتهى طرفه ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتي
ولا افوته .

حديث قتادة عن مسراه ﷺ

قال ابن إسحاق :

وحدثت عن قتادة أنه قال :

حدثت أن رسولَ الله ﷺ قال : لما دنوتُ منه لأركبه

(١) يحفز . يدفع .

شمس^(١) ، فوضع جبريلُ يدهُ على معرفته^(٢) ، ثم قال : ألا تستحي
يا براق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبدٌ لله قبلَ محمدٍ أكرمُ
عليه منه . قال : فاستحيا حتى ارفض عرقاً ، ثم قرأ حتى
ركبته .

عود الى حديث الحسن ، عن مسراه ﷺ

وسبب تسمية ابي بكر : الصديق

قال الحسنُ في حديثه :

فمضى رسول الله ﷺ ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى
انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى في
نقر من الأنبياء ، فأمسهم رسولُ الله ﷺ فصلى بهم ، ثم أتى بولاءين ،
في أحدهما خر ، وفي الآخر كبن .

(١) يقال : شمس الفرس : إذا لم يمكن أحداً من ظهوره ولا من الاسراج
والالجام ، ولا يكاد يستقر .

(٢) المعرفة : اللحم الذي ينبت عليه شعر العرف .

قال : فاخذ رسولُ الله ﷺ إناء اللبن ، فشرب منه ، وترك إناء
الحمر .

قال : فقال له جبريل : 'هديت للفطرة ، وهديت أمتك يا محمد ،
وحرمت عليكم الحمر .

ثم اصرف رسولُ الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قریش
فاخبرهم الخبر .

فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر^(١) البين ، والله إن العير
لتطرد ، شهراً من مكة إلى الشام 'مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفیذهب
ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة !

قال : فارتد كثيرٌ من كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ،
فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة
بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة .

قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا : بلى ، ها
هو ذاك في المسجد يحدث به الناس .

فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من
ذلك ! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر لیساتیه (من الله) من السماء إلى

(١) الأمر العجيب المنكر .

الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ فأصدقه ، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه .

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟
قال : نعم ؛ قال : يا نبي الله ، فصفه لي ، فإني قد جئته .

قال الحسن :

فقال رسول الله ﷺ : فرُفِع لي حتى نظرتُ إليه - فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر . ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئا ، قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى (إذا) انتهى ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق .
فيومئذ سَمَّاهُ الصَّدِّيقَ .

قال الحسن :

وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن اسلامه لذلك :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاهَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُخَوِّفُهُمْ ، فَتَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُفْيَانًا كَبِيرًا ﴾ .

فهذا حديث الحسن عن مَسْرُي رسول الله ﷺ ، وما دخل فيه من حديث قتادة .

حديث أم هانئ عن مسراء

قال محمد بن إسحاق :

وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها ، واسمها هند ، في مسري رسول الله ﷺ ، أنها كانت تقول :

ما أسرى رسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي ، نام عندي تلك الليلة في بيتي ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام وغمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتُ بهذا الوادي ، ثم جئتُ بيتَ المقدس فصليتُ فيه ، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين .

ثم قام ليخرج ، فاخذتُ بطرف رداؤه ، فتكشَّف عن بطنه

كانه قُبْطِيَّةٌ^(١) مَطْوِيَّةٌ ، فقلت له : يا نبيَّ الله ، لا تحدّث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك .

قال : والله لأحدثهموه . قالت : فقلت لجارية لي حَبَشِيَّةٌ : ويحك اتبعي رسولَ الله ﷺ حتى تَسْمعي ما يقولُ للناس ، وما يقولون له .

فلما خرج رسولُ الله ﷺ إلى الناس أخبرهم ، فعَجَبُوا وقالوا : ما آيَةُ ذلك يا محمد ؟ فإننا لم نسمع بمثل هذا قط .

قال : آيَةُ ذلك أَنِي مرَّرتُ بعييرِ بني فلانِ بوادي كذا وكذا ، فأنفَرهم رِحسُ الدابة ، فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ ، فَدَلَّتهم عليه ، وإِذا مَوجَّه إلى الشام . ثم أَقبلتُ حتَّى إِذا كنتُ بَضْجَنانَ^(٢) مرَّرتُ بعييرِ بني فلان ، فوجدتُ القومَ نياماً ، ولهم إناء فيه ماء قد غَطَّوا عليه بشيء ، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه ، ثم غطيتُ عليه كما كان ؛

(١) القبطية (بالضم وتكسر) : ثياب من كتان تنسج بمصر ملسوية إلى القبط على غير قياس .

(٢) بَضْجَنان (بالتحريك) : جبل بتاحية تهامة .

وآية ذلك أن عيرهم الآن يصبوب^(١) من البيضاء^(٢) ، كناية التنعيم^(٣) ،
يقدمها جمل أورق^(٤) عليه غرارثان ، إحداها سوداء ، والأخرى
برقاء^(٥) .

قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول^(٦) الجمل كما وصف
لهم ، وسالوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطوه ،
وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماءً .

وسالوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرونا في
الوادي الذي ذكر ، وندنا لنا بعير^(٧) ، فسمعنا صوت رجل يدعونا
إليه ، حتى أخذناه .

(١) يصبوب : ينزل من عل .

(٢) البيضاء : عقبة قرب مكة تهبطك إلى فح ، واثت مقبل من
المدينة تريد مكة ، أسفل مكة من قبل ذي طوي .

(٣) التنعيم : موضع بمكة في الجبل .

(٤) الأورق : الذي لونه بين الغبرة والسواد .

(٥) البرقاء : التي فيها ألوان مختلفة .

(٦) يريد أن الجمل كان أول ما لقيهم .

قصة المعراج

حديث الخدري عن المعراج

قال ابن إسحاق :

وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتني بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه ، وهو الذي يمد إليه يديكم عينيّه إذا حضر ، فاصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء ، يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة ، يقال له إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك

قال : يقول رسول الله ﷺ حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو - فلما دخل بي ، قال : مَنْ هذا يا جبريل ؟ قال : (هذا) محمد . قال : أو قد بُعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لي بخير : وقاله .

عدم ضحك خازن النار للرسول ﷺ

قال ابن إسحاق :

وحدثني بعضُ أهل العلم عن حدثه عن رسول الله .. ﷺ .. أنه قال :

تَلَقَّيْتُ الملائكةُ حين دخلتُ السماء الدنيا ، فلم يلقني مَلَكٌ إلا ضاحكاً مستبشراً ، يقول خيراً ويدعو به ، حتى لَقَيْتُ مَلَكاً من الملائكة ، فقال مثلُ ما قالوا ، ودعا بمثل ما دَعَوْا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أرَ منه من البشر مثل ما رأيت من غيره .

فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكةُ ولم يضحك (إليّ) ، ولم أرَ منه من البشر مثل الذي رأيتُ منهم ؟

قال : فقال لي جبريلُ : أما إنه لو ضحك إلى أحدٍ كان قبلك ،
أو كان ضاحكاً إلى أحدٍ بعدك ، لَضَحِكَ اليك ، ولكنه لا يضحك
هذا مالكُ خازن النار .

فقال رسول الله ﷺ : فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان
الذي وصف لكم 'مطاعٍ ثم أمين' : ألا تأمره أن يُريني النار ؟
فقال : بلى ، يا مالك ، أر محمداً النَّسَار .

قال : فكشف عنها غطاءها ، ففارت وارتفعت ، حتى ظننت
لتأخذنَّ ما أرى .

قال : فقلت لجبريل : يا جبريل ، 'مره فليردّها إلى مكانها .
قال : فأمره . فقال لها أخي ، فرجعتُ إلى مكانها الذي خرجت
منه . فما شَبَّهتُ رُجوعها إلا وقوع الظلِّ . حتى إذا دخلت من
حيثُ خرجت ردتُ عليها غطاءها .

عود الى حديث الخدري عن المعراج

قال أبو سعيد الخدري في حديثه :

إن رسول الله ﷺ قال : لما دخلتُ السماء الدنيا ، رأيت بها

رجلاً جالساً تُعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويُسرّ به ، ويقول : روح طيّبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أفّ . ويُعْبَس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرض عليه ارواح ذرّيته ، فإذا مرّت به روح المؤمن منهم سرّ بها وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفّ منها وكرهها ، وساء ذلك وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

صفة اكلة اموال اليتامى

قال : ثم رأيت رجلاً لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالآفهار^(١) ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة اموال

(١) الآفهار : جمع فهر ، وهو حجر على مقدار ملء الكف .

اليتامى 'ظلماً .

صفة اكلة الربا

قال : ثم رأيت رجالاً لهم 'بطون لم أرَ مثلها قطُّ بسبيل
آل فرعون^(١) ، يرون عليهم كالإبل المهيومة^(٢) حين 'يعرضون على
النار ، يطشونهم لا يقدرّون على ان يتحوّلوا من مكانهم ذلك .
قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اكلة الربا .

صفة الزناة

قال : ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيّب ، إلى جنبه
لحم غثّ منتن ، يأكلون من الغثّ المنتن ، ويتركون السمين الطيب .

(١) خص آل فرعون ، لأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة

(٢) المهيومة : العطاش

قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين
يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرّم الله
عليهم منهن .

صفة النساء اللاتي يدخلن على الأزواج

ما ليس منهم

قال : ثم رأيت نساء معلقات بشدّيين . فقلت : من هؤلاء
يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي ادخلن على الرجال من ليس من
اولادهم .

قال ابن إسحاق :

وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله
ﷺ قال :

اشتدّ غضب الله على امرأة ادخلت على قوم من ليس منهم ،

فاكل حرائبهم^(١)، وأطلع على عوراتهم .

عود الى حديث الخدري عن المعراج

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري ، قال :

ثم اصعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا . قال : ثم اصعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر .

قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا اخوك يوسف بن يعقوب .

قال : ثم اصعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس .

قال : يقولُ رسولُ الله ﷺ : ورفعناه مكانا عليًا .

قال : ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل ابيضُ الرأسُ

(١) الحرائب : جمع حربية ، وهي المال .

واللحية ، عظيم العُشْنون^(١) ، لم أرَ كهلاً أَجَلَ منه .

قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المُحبَّب في قومهِ
هارون بن عمران .

قال : ثم اصعدني إلى السماء السادسة ، فلماذا فيها رجل آدم^(٢)
طويلُ اقنى^(٣) ، كأنه من رجال شنوءة .

فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى
ابن عمران .

ثم أصعدني إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهٌلٌ جالس على كرسي
إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا
يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أرَ رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا
صاحبكم أشبه به منه .

قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم .

(١) العُشْنون اللحية .

(٢) الآدم : الأسود

(٣) الأقنى : ما ارتفع أهل أنفه واحذودب وسطه وسبغ طرفه .

قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيتُ فيها جاريةً لعناء^(١) ،
فسألتها : إن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها . فقالت : لزيد
ابن حارثة .

فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق :

ومن حديث (عبدالله) بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ
فيما بلغني :

أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين
يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون :
أو قد بُعث^(٢) ؟ فيقول : نعم ؛ فيقولون : حيَّاه الله من أخ وصاحب !
حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه
خمسین صلاة في كل يوم .

(١) اللبس في الشفاء . حمرة فضرب إلى السواد .

(٢) وفي سائر الأصول : « أو قد بعث إليه ... الخ » .

مشورة موسى على الرسول عليهما السلام في شأن تخفيف الصلاة

(قال) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فأقبلت راجعاً ، فلما مررت بموسى (بن) عمران ، ورنم صاحب
كان لكم ، سألني كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة
كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى
ربك ، فأسأله أن يخفف عنك وعن أمتك .

فرجعتُ فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضع عني
عشراً ..

ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثلاً ذلك .

فرجعت فسألت ربي ، فوضع عني عشراً .

ثم انصرفت فمررت على موسى ، فقال لي مثلاً ذلك .

فرجعت فسألته فوضع عني عشراً ، ثم لم يزل يقول لي مثلاً
ذلك ، كلما رجعت إليه .

قال : فارجعُ فاسال ، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عني ،
إلا خمس صلوات في كلِّ يوم وليلة .

ثم رجعت إلى موسى ، فقال لي مثلاً ذلك ، فقلت : قد راجعت
ربي وسألته ، حتى استحيتُ منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أدهن منكم إيماناً بهنَّ ، واحتساباً لهنَّ ، كان له اجرُ
خمسین صلاة ..

(مكتوبة) .

*

رواية البخاري في صحيحه

قال النبي ﷺ :

« بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان .

« وذكر يعني رجلاً بين الرجلين .

- « فأتيتُ بطستٍ من ذهبٍ مُلِئَ حكمةً وإيماناً .
- « فشق من النحر إلى مرق البطن .
- « ثم غسل البطن بماء زمزم .
- « ثم مُلِئَ حكمةً وإيماناً .
- « وأُتِيت بدابةً أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق .
- « فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا .
- « قيل : من هذا ؟
- « قال : جبريل .
- « قيل : ومن معك ؟
- « قيل : محمدٌ .
- « قيل : وقد أُرسل إليه ؟
- « قال : نعم .
- « قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .
- « فأتيت على آدم فسلمت عليه .
- « فقال : مرحباً بك من ابن نبي .
- « فأتينا السماء الثانية

« قيل : من هذا ؟
 « قال : جبريل .
 « قيل : من معك ؟
 « قال : محمد ﷺ .
 « قيل : أرسل اليه ؟
 « قال : نعم .
 « قيل : مرحباً به ولنعم المحيي جاء .
 « فأتيت على عيسى ويحيى .
 « فقالا : مرحباً بك من اخ وني .
 « فأتينا السماء الثالثة .
 « قيل : من هذا ؟
 « قيل : جبريل .
 « قيل : من معك ؟
 « قال : محمد .
 « قيل : وقد أرسل اليه ؟
 « قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فأتيت يوسف فسلمت عليه .

« قال : مرحباً بك من اخ وني .

« فأتينا السماء الرابعة .

« قيل : من هذا ؟

« قيل : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قيل : محمد ﷺ .

« قيل : وقد أرسل اليه ؟

« قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فأتينا على ادريس فسلمت عليه .

« فقال : مرحباً بك من اخ وني .

« فأتينا السماء الخامسة .

« قيل : من هذا ؟

« قيل : جبريل .

- « قيل : ومن معك ؟
- « قيل : محمدٌ ﷺ .
- « قيل : وقد أرسل اليه .
- « قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .
- « قال : نعم .
- « فأتينا على هارون فسلمت عليه .
- « فقال : مرحباً بك من اخ وني .
- « فأتينا على السماء السادسة .
- « قيل : من هذا ؟
- « قيل : جبريل .
- « قيل : من معك ؟
- « قيل : محمد صلى الله عليه وسلم .
- « قيل : وقد أرسل اليه ؟
- « مرحباً به ولنعم المجيء جاء .
- « فأتيت على موسى فسلمت عليه .
- « فقال : مرحباً بك من اخ وني .

« فلما جاوزت بكى .

« فقيل : ما أبكاك ؟ .

« قال : يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي ١٢

« فأتينا السماء السابعة .

« قيل : من هذا ؟

« قال : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قيل : محمد .

« قيل : وقد أرسل اليه ؟

« مرحباً به ونعم المجيء جاء .

« فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه :

« فقال : مرحباً بك من ابن نبي .

« فرُفِعَ لي البيت المعمور .

« فالت جبريل .

« فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك

إذا خرجوا لم يعودوا اليه آخرَ ما عليهم .

« وُرفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبتها كأنه قلال هجر وورقها
كانه آذان القيول في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران
ظاهران .

« فقال : أما الباطنان ففي الجنة .

« وأما الظاهران النيل والفرات .

« ثم فرضت عليّ خمسون صلاة .

« فاقبلت حتى جئت موسى .

« فقال : ما صنعت ؟

« قلت : فرضت عليّ خمسون صلاة .

« قال : أنا أعلم بالناس منك ، عاجلت بني اسرائيل أشد المعالجة ،
وإن امتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله .

« فرجعت ، فسألته .

« فجعلها أربعين .

« ثم مثله .

« ثم ثلاثين .

« ثم مثله .

« فجعل عشرين .

« ثم مثله .

« فجعل عشرين .

« فأتيت موسى .

« فقال مثله .

« فجعل خمسا .

« فأتيت موسى .

« فقال : ما صنعت ؟

« قلت : جعلها خمسا .

« فقال : مثله .

« قلت : سلمت بخير .

« فتوذي : إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي

الحسنة عشرين » .

قالوا :

« الصحيح انه أسري بالجسد والروح في القصة كلها .. وعليه

يدل قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ إذ لو كان مناماً لقال

بروح عبده ولم يقل بعبده ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل
إلا عند الاستحالة ..

« ما ذكر من شق الصدر .. واستخراج القلب .. وما يجري مجراه
فإن السيل في ذلك التسليم .. دون التعرض بصرفه إلى وجهه يتقوله
متكلف .. إدعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول ..

« البراق ، اسم للدابة التي ركبها ﷺ تلك الليلة .. وقالوا
اشتقاقه من البرق .. لسرعته .. وقيل سمي به لشدة صفائه وتلألؤ
لونه .. وقالوا البراق دابة أبيض وفي فخذه جناحان يحفز بها
رجليه .. يضع حافره في منتهى طرفه ..

« ذكر أهل السير والمفسرون أنه لما ركب البراق أتى إلى بيت
المقدس ومعه جبريل عليه الصلاة والسلام .. ولما فرغ أمره فيه ..
نصب له المعراج وهو السلم .. وصعد فيه إلى السماء .. ولم يكن
الصعود على البراق كما يتوهمه بعض الناس .. بل كان البراق
مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس حتى يرجع عليه إلى
مكة ..

« (وقد أرسل إليه ؟) أي أطلب وأرسل إليه .. وفي رواية
أخرى .. وقد بُعث إليه للإسراء وصعود السماوات .. وقيل كان
سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه .. أو للاستبشار بعروجه ..

إذ كان من البين عندهم أن أحداً من البشر لا يترقى إلى أسباب
السموات من غير أن يأذن الله له .. ويأمر ملائكته بأصعاده ..
وإن جبريل عليه الصلاة والسلام لا يصعد بمن لم يرسل إليه .. ولا
يفتح له أبواب السماء ..

« (مرحباً به) أي بحمد .. ومعناه لقي مرحباً وسعة ..
وقيل معناه .. رحب الله به مرحباً .. فجعل مرحباً موضع
الترحيب ..

« (ولنعم الجيء جاء) أي جاء فلنعم الجيء مجيئه ..

« (فأتيت على آدم فسلمت عليه) .. وأمر بالتسليم عليهم .. أي
على الأنبياء الذين لقيهم في السموات .. وعلى خزان السموات وحراسها
لأنه كان عابراً عليهم ..

« (فلما جاوزتُ يكي) قالوا . كان بكاؤه صلى الله عليه وسلم ..
لأجل الرقصة لقومه .. والشفقة عليهم .. حيث لم ينتفعوا
بمتابعته انتفاع هذه الأمة بمتابعة نبيهم .. ولم يبلغ سوادهم مبلغ
سوادهم ..

« (يا رب هذا الغلام) لم يرد موسى عليه السلام بذلك
استقصار شأنه .. فإن الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري
الشاب .. والمراد منه استقصار مدته .. مع استكثار فضائله .. وأتمه

اتم سواد من امته ..

» وقال الخطابي : قوله (الغلام) ليس على معنى الازراء والاستصغار لشابه .. إنما هو على تعظيم منة الله عليه .. مما اناله من النعمة .. وأتحفه من الكرائم .. من غير طول عمر أفناه بمجتهداً في طاعته ..

» (فرُفع لي البيت المعمور) اي كُشِف لي .. وقُرّب مني .. كأنه أراد ان البيت المعمور ظهر له كل الظهور .. وكذلك سدرة المنتهى .. استبينت له كل الاستبانة .. حتى اطلع عليها كل الاطلاع ..

» (آخر ما عليهم) ذلك آخر ما عليهم من دخوله ..

» (وُرفعت لي سدرة المنتهى) سميت بها .. لأن علم الملائكة ينتهي اليها .. ولم يجاوزها احد .. إلا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

» (نهران باطنان) قيل : هما السلسبيل والكوثر ..

» (نهران ظاهران) النيل والفرات .. قيل : يخرجان من أصلها .. ثم يسيران حيث اراد الله تعالى .. ثم يخرجان من الأرض ويجريان فيها ..

» (عاجلتُ بني اسرائيل) اي مارسهم . ولقيت منهم الشدة ..

فما اردت منهم من الطاعة ..
« (فارجع إلى ربك) اي إلى الموضع الذي ناجيت ربك
فيه ..

« (فرجعتُ) اي إلى موضع مناجاتي ..
« (فسألتَه) اي فسألت الله التخفيف .
« (فجعلها) اي فجعل الفريضة التي قدرها اربعين صلاة ..
« (ثم مثله) اي ثم قال موسى ﷺ .. مثله ..
« (ثم ثلاثين) اي ثم جعلها ثلاثين صلاة ..
« (ثم مثله) اي ثم قال موسى ﷺ .. مثله ..
« (فجعل عشرين) اي عشرين صلاة ..
« (ثم مثله) اي ثم قال موسى ﷺ .. مثله ..
« (فجعل عشرة) اي عشر صلوات ..
« (فاتيتُ موسى) اي في الموضع الذي لقيته فيه .. فقال موسى
ايضاً مثله ..

« (فجعله خمساً) اي خمس صلوات ..
« (فقال : ما صنعتَ ؟) اي فقال موسى ﷺ : ماذا صنعت فيما
رجعت ؟ . وهذه هي المراجعة الأخيرة ..

« قلتُ : جعلها خمساً) اي خمس صلوات .

« (فقال : سلمت بخير) اي فقال النبي ﷺ .. لموسى عليه السلام ..
سَلِّمْتُ .. سَلِّمْتُ له .. ما جعله من خمس صلوات .. فلم يبق لي
مراجعة .. لاني استحيت من ربي .. كما مضى في حديث أبي ذر
في اول كتاب الصلاة .. من قوله (ارجع إلى ربك ، قلتُ :
استحيت من ربي) .. يعني من تعدد المراجعة ..

« (فتودري) اي فجاء النداء من قبل الله تعالى .. إني قد
امضيت فريضتي .. أي انفذت فريضتي .. بخمس صلوات ..
وخففتُ عن عبادي .. من خمسين إلى خمس .. وأجزيت الحسنة
عشرًا .. فيحصل ثواب خمسين صلاة .. لكل صلاة ثواب عشر
صلوات ..

« فان قلت : كيف جازت هذه المراجعة في باب الصلاة .. من
رسولنا محمد .. وموسى .. عليها الصلاة والسلام ؟

« قلتُ : لأنها عرفنا ان الأمر الأول غير واجب قطعاً .. واو
كان واجباً قطعاً .. لا يقبل التخفيف !!



أقول . وشهدت خديجة .. عليها السلام .. أيام ذلك الحادث
الفدّ ..

شهدت أيام تلك المعجزة الكبرى .. معجزة الإسراء
والمعراج ..

كانت هناك .. في مكة .. تسمع .. وترى ..

بل كانت أقرب الناس إليه .. ﷺ .. في تلك اللحظات
المقدسة .. حين عاد من الرحلة ..

كيف كانت مشاعرها .. حين عاد ﷺ .. اليها وقد عُرجَ
به .. إلى ما وراء السماوات .. بل إلى ما وراء الإدراك !!

أم كيف كان شعورها .. وهي تصلي معه الصلاة المفروضة ..
بعد أن افترض الله عليه في تلك الليلة .. خمس صلوات !!

لقد ازدادت له تصديقاً .. وإيماناً ..

إنَّ أوَّلَ رجل آمن (وهو أبو بكر) .. قال حين وصف
له رسول الله .. ﷺ .. بيت المقدس : صدقتَ .. أشهد أنك
رسول الله !!

وإنَّ لسان حال خديجة .. عليها السلام .. يقول في نفس
المشهد : صدقتَ .. أشهد أنك رسول الله !!

لماذا 119

لأن أبا بكر .. كان أوّل مَنْ آمَنَ من الرجال ..
ولأنّ خديجة .. كانت أوّل من آمَنَ من النساء ..
فتحتّم أن تستقبل خديجة معجزة الإسراء والمعراج ..
بمثل ما استقبل أبو بكر الاسراء والمعراج !!

وفاة ..

ابي طاب ؟!

قال ابن الاثير :

« توفي أبو طالب .. وخديجة .. قبل الهجرة بثلاث سنين ..
وبعد خروجهم من الشعب ..
« فتوفي أبو طالب في شوال .. أو في ذي القعدة ..
« وعمره بضع وثمانون سنة ..
« فعظمت المصيبة على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
هلاكمها ..
« فقال رسول الله .. ﷺ : ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه
حتى مات أبو طالب ..
« وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب .. إلى
ما لم يكونوا يصلون اليه في حياته .. حتى ينثر بعضهم التراب
على رأسه !!
« وحتى إن بعضهم يطرح عليه رحمة الشاة وهو يصلي !!

« وكانت رسول الله .. ﷺ .. يُخرج ذلك على العمود ..
ويقول : أيّ جوار هذا يا بني عبد مناف !
ثم يلتقيه بالطريق . »

*

وقال ابن هشام

وفاة ابي طالب وخديجة ..

صبر الرسول على ايذاء المشركين

« وكان النّفَر الذين يُؤذون رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
في بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي
معيط ، وعدي بن حمرّاء الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا
جيرانه لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص ، فكان أحدهم
... فيما ذكر لي - يطرح عليه .. صلى الله عليه وسلم .. راحم الشاة

وهو يُصلي ، وكان أحدهم يطرحها في 'برمته' (١) إذا نُصبت له ،
حتى اتخذ رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم حجراً (٢) يستتر به
منهم إذا صلى ، فكان رسول الله ﷺ إذا طرخوا عليه ذلك
الأذى ، كما حدثني عمرُ بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن عروة
ابن الزبير ، يخرج به رسولُ الله ﷺ على العمود ، فيقف به
على بابه .

ثم يقول . يا بني عبد مناف ، أيّ جوارر هذا !
ثم يُلقيه في الطريق .

طمع المشركين في الرسول بعد وفاة أبي طالب وخديجة !

قال ابن إسحاق
ثم إن خديجة بنت 'خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد ،

(١) البرمة : القدر من الحجر .

(٢) الحجر : كل ما حُبِرته من حائط .

فَعْتَابَت عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَصَائِبُ بِهَيْلِكَ خَدِيجَةَ .

وَكَانَتْ لَهُ وَزِيرَ صَدَقٍ عَلَى الْإِسْلَامِ ، يَشْكُو إِلَيْهَا .

وَبِهَيْلِكَ عَمَهُ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ لَهُ عَضْدًا وَحِرْزًا فِي أَمْرِهِ ،
وَمَنْعَةً وَنَاصِرًا عَلَى قَوْمِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ مُهَاجَرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ
سَنِينَ .

فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ ، نَالَتْ قَرِيشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَذَى
مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهُ مِنْ
سَفَهَاءِ قَرِيشٍ ، فَثَرَّ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

فَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ ، قَالَ :

لَمَّا ثَرَّ ذَلِكَ السَّفِيهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ التَّرَابَ ،
دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ وَالتَّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى
بَنَاتِهِ ، فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التَّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ لَهَا : لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ .

قَالَ : وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ . مَا نَالَتْ مِنِّي قَرِيشٌ شَيْئًا أَكْرَهَهُ ،
حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ .

المشركون عند ابي طالب لما ثقل به المرض ..

يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول ..

قال ابن إسحاق :

ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى ابي طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطيه منا ، والله ما نأمن أن يَيْتَرُونَا^(١) أمرنا .

قال ابن إسحاق :

فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال :

مَشَوْا إلى ابي طالب فكلّموه ، وهم اشراف قومه . عتبة

(١) ابتزوه أمره : سلبه إياه وغلب عليه .

ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم .

فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرَكَ ما ترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعُهُ ، فخذْ له منا ، وخذْ لنا منه ، ليكفّ عنا ، ونكفّ عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يا بن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك .

قال : فقال رسول الله ﷺ : نعم ، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم .

قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات . قال : تقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه .

قال : فصَفِّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا ، إنَّ أُمرك لعَجَب !

ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئًا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه .

قال : ثم تفرّقوا .

طمع الرسول في اسلام ابي طالب ..

وحديث ذلك ؟!

فقال ابو طالب لرسول الله ﷺ : والله يا ابن اخي ، ما رأيتك سالتهم شططا .

قال : فلما قالها ابو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه ، فجعل يقول له . أي عم ، نانت فقلها استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة .

قال : فلما رأى حرص رسول الله ﷺ ، قال : يا ابن أخي ، والله لولا مخافة السُّبّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش إني إنما قتلتها جزءاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرّك بها .

قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، قال : نظر العباس اليه يحرك شفّتيه ، قال . فأصغى اليه بأذنه .

قال : فقال يا ابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته

أن يقولها .

قال : فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع .

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول
عند أبي طالب !

قال : وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ،
وقال لهم ما قال ، وردّوا عليه ماردّوا
﴿ س وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ، بَلِ الدِّينَ كَتَفَرُّوا فِي عِزِّهِ
وَشِقَاقِهِ ۖ ﴾ ..

إلى قوله تعالى :

﴿ اجْعَلِ الْآلِهَةَ إلهًا وَاحِدًا ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ .
وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْحَتِّمْ ، إِنَّ
هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ . مَا تَسْمَعُوا بِهِذَا فِي الْمِثَةِ الْآخِرَةِ ۖ ﴾ .

يعنون النصارى .. لقولهم .

« إن الله ثالث ثلاثة »

« إن هذا إلا اختلاق . »

★

أقول .. ومات الرجل النبيل الجليل .. أبو طالب بن
عبد المطلب ..

مات في النصف من شهر شعبان .. في السنة العاشرة .. من
مبعث رسول الله .. ﷺ .

جاء عن ذلك .. في كتاب « خديجة أم المؤمنين »

« كان موت أبي طالب صدمة عنيفة أصابت النبي الوفي لأهله
ولكل من قدم اليه معروفاً .

فقد كان أكثر الناس حفاوة به وأكراماً له منذ طفولته عندما
وصاه به جده عبد المطلب ، إذ بادر بضم ابن أخيه إلى أولاده
يقاسمهم السراء والضراء ، وكان يحبه حباً شديداً ، فكان لا ينسام إلا

إلى جنبه ، ويخرج خارج البيت فيخرج معه .
وما زال كذلك حتى كبر وبلغ اثنتي عشرة سنة ، الف
اثناها صحبته .

فلما أراد ابو طالب المسيرة إلى الشام للتجارة مع القافلة
القرشية ، قال له ابن أخيه : « أي عم ، إلى من تخلفني ههنا ، فإلي
أم تكلفني ، ولا أحد يؤويني ؟ »

فرق له ثم اردفه خلفه ، ورحلا معاً في القافلة حتى نزلت
بجوار صومعة يتعبد فيها راهب يدعى « بجيرا » ، فإ إن رأى هذا
الغلام مع عمه حتى جعل يتفرس فيه ويلحظه لحظاً شديداً ،
وينظر إلى علامات في جسمه كان يعلم عنها من القراءة في كتبه
المقدسة .

فلما كشف على ظهره ، رأى خاتم النبوة بين كتفيه فقبله ،
وأخذ يوصي عمه به ، ويحذره من غدر اليهود ، فإن الله قد اختاره
ليكون نبي هذه الأمة .

واراد الله ان يكون هذا النبي من العرب ، واليهود يريدون
أن تكون النبوة مقصورة على بني إسرائيل ، ولذلك فسوف
يحسدونه ، وإن يتورعوا عن القضاء عليه إذا سنحت لهم الفرصة
ووجدوا إلى قتله سبيلاً .

ثم شب لابن أخيه في كنفه ، فكان احب الناس اليه ، يفضلته

ويقدمه على اولاده ، ويحوطه بعطفه ورعايته ، ويعنى بتنشئته حتى
كبر واصبح رجلاً

« افضل قومه مروءة ، واحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ،
واحسنهم جواراً ، واعظمهم حِلماً وأمانة ، واصدقهم حديثاً ،
وأبعدهم من الفحش والأذى » .

وتحققت نبوءة الراهب « بجيرا » ، ونزل جبريل على رسول الله
عندما بلغ الأربعين ، فاخبره أن الله اصطفاه وارسله نبياً شاهداً ،
ومبشراً ونذيراً إلى قومه وإلى الناس كافة ، يدعوهم إلى عبادة الله
الواحد الأحد ، وإلى الأخلاق الفاضلة ، وينهاهم عن كل فاحشة .

فأبى زعماء الأرستقراطية الوثنية أن يصدقوه ، ورفضوا أن
يتروكوا الشرك بالله ، فجعلوا الأوثان له انداداً وشركاء ، وحاربوه
حرباً عنيفة شرسة .

ولكن أبا طالب وقف في وجه شياطينهم يذود عنه ، ونشر
عليه مظلة من حمايته ، فلم يستطيعوا أن يحولوا بينه وبين رسالته
برغم ما قاسى هو والذين آمنوا معه من عناء وتعذيب ، إلى أن
كانت المقاطعة الظالمة والحصار اللعين ، فدخل معه أبوطالب ثلاثة
أعوام في الشعب ، قاسى فيها شظف العيش ، حتى أذن الله لنبيه
بالنصر ، فخرج أبو طالب وابن أخيه وانصارهما موفوري
الكرامة ، واصبحت لهم بين القبائل الكفة الراجحة ، واصاب

المشركين الحزبي والهزيمة .

فلما مات ابو طالب تنفس المشركون الصعداء ، لأن هذا الشيخ كان وحده القادر على ان يجمع حوله بني هاشم وبني المطلب الذين كانوا ياترون بأمره ويتبعونه دون جدال او مناقشة .

كما كان متصلاً بالنسب مع عشائر قريش الأخرى وبخاصة مع باقي بطون عبد مناف .

فكانت قريش كلها تحترمه وتهابه ، ولذلك نجح في تكوين جبهة صلبة وقفت بجواره تذود معه عن ابن اخيه ، وافلح في تعصيده ونصرته حتى النصر في معركة المقاطعة على شدتها ، وذاقوا اسام صبره وكفاحه الهزيمة الشنيعة .

ولكن موته المفاجيء ، بعد هذا النصر ، قلب الموقف رأساً على عقب ، فتغير ميزان القوى بين الفريقين ، ورجحت كفة المشركين ، وشعروا بالقوة وغلبة الكثرة بعد الضعف ، واسترجعوا كبرياءهم .

وتطلع شياطينهم مرة اخرى إلى القضاء على "محمد" رغبة منهم في اجتثاث دعوته من جذورها حتى ينصروا او ثأنهم ويسترجعوا ما فقدوه من كرامتهم ، واخذوا يتحينون لذلك الفرصة المواتية للانتقاض عليه .

ولما توفي أبو طالب ، ذهب عليّ ، كرّم الله وجهه ، إلى
رسول الله .. ﷺ .. فأبلغه الخبر .. فحزن الرسول الوفي حزناً
شديداً ..

وقال لعليّ :

« اذهب وغسله وداره غفر الله له ورحمه » ..

وغلب عليه الحزن .. فقال إنه سوف يستغفر له ربه ما لم
ينبه الله عن ذلك ..

« واعتكف في منزله يستغفر الله له ويبكيه .. »

★

ثم ماذا ١٩

ثم مصيبة أخرى .. قد تكون اشد من موت أبي طالب ١١

وفاة ..

أم المؤمنين خديجة ..

عليها السلام ؟ !

اما

ابن الاثير فيقول :

« توفي ابو طالب .. وخديجة .. قبل الهجرة بثلاث سنين ..
وبعد خروجهم من الشعب ..

« فتوفي ابو طالب في شوال .. او في ذي القعدة .. وعمره
بضع وثمانون سنة .

« وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً .. وقبل . كان
بينهما خمسة وخمسون يوماً .. وقيل . ثلاثة ايام ..

« فعظمت المصيبة على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
بهلاكهما .. »

اقول .. عند ابن الاثير .. انّ خديجة .. ماتت قبل
ابي طالب ..

واما في (أسد الغابة) فيقول :

عن ابن إسحاق قال :

« ثم إن خديجة توفيت بعد أبي طالب .. وكنا مائة في عام واحد .. فتتابعنا على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. المصائب يهلك خديجة وأبي طالب .. وكانت خديجة وزيرة صدق على الاسلام .. كان يسكن اليها ..

وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى :

« توفيت خديجة قبل الهجرة بخمس سنين ..

« وقيل . بربع سنين » ..

وقال عروة وقتادة :

« توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ..

« وهذا هو الصواب ..

وقالت عائشة :

« توفيت خديجة قبل ان تُفرض الصلاة ..

« قيل : إن وفاة خديجة كانت بعد أبي طالب بثلاثة

ايام ..

« وكان موتها في رمضان ..

« ودفنت بالحجون ..

« قيل : كان عمرها خمسا وستين سنة . »

اما الامام العيني في شرحه على البخاري فيقول :

« كانت إذ تزوجها رسول الله .. ﷺ .. بنت اربعين

سنة ..

« واقامت معه اربعاً وعشرين سنة ..

« وتوفيت وهي بنت اربع وستين سنة .. وستة اشهر ..

« وتوفيت قبل الهجرة بخمس سنين .. وقيل باربع ..

وقال قتادة :

« قبل الهجرة بثلاث سنين ..

قال أبو عمر :

« قول قتادة عندنا أصح ..

وقال أبو عمر :

« يقال إنها توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام ..

« توفيت في شهر رمضان ..

« ودفنت في الحجون ..

وأما في كتاب (خديجة ام المؤمنين) فيقول :

« وانتقلت إلى جوار الواحد الأحد ..

« في اليوم العاشر .. من شهر رمضان ..

في العام العاشر .. من بداية لإشراق فجر الاسلام ..

« بعد موت أبي طالب بشهر وخمسة أيام .. »

ماذا نستخلص من هذه الروايات ١٢

أن خديجة .. عليها السلام .. ماتت بعد وفاة أبي طالب ،
بأيام معدودات ..

وأنها توفيت .. قبل الهجرة بثلاث سنين .. وهذا هو الأصح ..

وأنَّ عمرُها عند الوفاة كان خمساً وستين سنة .. وقيل : وهي
بنت أربع وستين سنة وستة أشهر .. أي وهي تقطع العام الخامس
والستين ..

وأنَّ وفاتها كانت في اليوم العاشر من شهر رمضان .. في العام

العاشر من البعثة .

وأنها دفنت في الحجون .. بمكة المكرمة .

هذا ما تيسر لنا استخلاصه .. في شان وفاة أم المؤمنين ..
خديجة .. عليها السلام ..

أما تصوير مشهد الوفاة .. كما ذهب إلى ذلك .. بعض من
كتبوا في الموضوع ..

فإني لا أفعل كما فعلوا ..

لكن أقول : ينبغي تنزيه المقام .. عن لغو الكلام !!

شخصية ..

خديجة ..

عليها السلام ؟ !

لماذا

اختارها الله .. من دون نساء العالمين .. لتكون زوجاً له ..
ﷺ .. قبل النبوة .. وفي بداية النبوة ١٢

لماذا كانت ذات مال ١٢

لماذا كانت هي أوّل مَنْ آمن على الاطلاق .. لم يسبقها رجل
ولا امرأة إلى الاسلام ١٢

لماذا .. ولماذا .. ولن تجد جواباً على هذا .. حتى تفرغ من قراءة
هذا الفصل كاملاً !!

أَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ اسْمُ ..
بِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ !؟

هذا مقام عظيم .. تنفرد به أم المؤمنين خديجة .. عليها
السلام ..

قالوا :

- « خديجة بنتُ خويلد ..
- « أم المؤمنين ..
- « زوج النبي .. صلى الله عليه وسلم ..
- « أول امرأة تزوجها ..
- « وأول خلق الله استلم ..
- « باجتماع المسلمين ..
- « لم يتقدمها رجل ولا امرأة .. »

ما معنى هذا !؟

معناه أنها تنفرد بمقام .. لا يشاركها فيه أحد .. رجلاً كان
أو امرأة ..

معناه أن على كل رجل .. وعلى كل امرأة .. في هذه الأمة ،
إلى أن تقوم الساعة ، أن يُوقرها ، ويعرف لها فضلها
وسبقها ..

إنَّ فَرْقَ ما بين إيمان خديجة .. وإيمان فردٍ منا ، كفرق ما
بين السماء والأرض ..

جاءها .. يَقُصُّ عليها ، ما كان من بدء الوحي إليه ..
صلى الله عليه وسلم ..

فكانت له .. قُرَّة عين .. ومودة .. وإيماناً فوق ذلك !!

إن مصيبتنا وبليتنا ، نحن أبناء الاسلام اليوم .. أننا أخذنا
الاسلام ميراثاً عن الآباء .. سهلاً ليناً سائغاً للشاربين ..

صلوات تؤدِّيها ، وتسبيحات نهترُ بها .. ثم نتمطى إلى فرشنا ،
كسالى .. لا نفقه من هذا الاسلام شيئاً .. إلا ان نتعبد لندخل
الجنة !!

لكن هؤلاء .. لم يكونوا كذلك ..

كانوا شيئاً آخر .. كانوا زلزلة تزلزل الأرض .. فتستجيب
لهم السماء ..

اشتركوا في بناء بنيان الاسلام ، لبننة لبننة ..
وتعبوا وضحُّوا بالأنفس والأموال والأوطان والأولاد والآباء ،
ليرتفع البناء .

ثم جئنا من بعدهم بغبائنا ، ورثنا هذا الاسلام ، فاثقلناه
بجهلنا ووكهنا وضعفنا ..

وبلغ من هوانٍ .. أن جسدنا الاسلام الذي هو أوسع من
السموات والأرض .. جمدناه في صلوات وتراتيل !!

لكن اصحابه كانوا شيئاً آخر .. غير هذا الغشاء !!
فلذا قيل .. خديجة أول خلق الله أسلم .. باجماع المسلمين ..
لم يتقدمها رجل ولا امرأة ، تحتم على عقولنا أن نتفكّر ..
كيف كانت عزيمة امرأة ، تواجه حدثاً جديداً كهذا لأول مرة
في حياتها ، وحياة العالم أجمع ١٤

ألم تفكر تلك المرأة العظيمة .. ما معنى ان زوجها قد
صار نبياً .. وما يستتبع ذلك من متاعب تعجز عن حملها
الجبال ١٥

ها هو ورقة ابن عمها .. يؤكد لزوجها .. أن قومه سوف
يؤذونه ، ويخرجونه ..

فإذا هي صائمة آنذاك .. حين يفعلون أفاعيلهم بزوجها
وبها ١٢

إنما مَثَلُ خديجة .. لحظة إيمانها برسول الله .. صلى الله عليه
وسلم .. كمثل مَنْ فاجأته ريح عاصف قاصف ، وهو في وَسْطِ
البحر ، فإن لم يستجمع قواه كلها .. ابتلعه البحر واغرقه ..
كذلك كانت .. وهي تستمع إليه .. ﷺ ..

كانت قوّة قاهرة .. قهرت ظلمات الكفر والشرك
والضلال ..

وخرجت من تلك الظلمات كلها ، إلى النور ..
فأمنت به ، وبما رأى
وهتفت ، من أعماق فؤادها :

« كَلَّا .. والله .. ما يُفْزِيكَ الله أبداً » ١١

فأين إيمان امرأة آمنت اليوم ..
من إيمان امرأة ، استقبلت الموجة الأولى وخدتها ..
لم يكن فوق الأرض .. مؤمناً .. ولا مؤمنة .. إلّا
إياها ١١

عليها السلام !!

الطاهرة ١٢

« كانت قدعى في الجمالية ، الطاهرة » ..

اشتهرت خديجة قبل الاسلام بالطاهرة ..

فما معنى هذا ؟

معناه أن هناك اجماعاً من قومها على فضائلها وحسن
أخلاقها !!

كانت تاجرة ١٢

« كانت خديجة امرأة تاجرة .. ذات شرف ومال .. »

أقول .. أصلحُ الناس للسياسة .. الذين يعملون في التجارة ،
لأن التاجر يباشر الحياة يومياً .. ويلتقي مع نوعيات من البشر ..

فيكسبه ذلك معرفة بحقائق الحياة .. وواقع الناس ..
ومن هنا .. أدركت خديجة في سرعة .. عظمة معدن
رسول الله .. ﷺ .. وأنه معدن آخر .. غير معادن الرجال ..
« وعرضت عليه ان يخرج في مالها إلى الشام تاجراً .. وتمعليه
افضل ما كانت تعطي غيره من التجار .. » ١١

حازمة .. لبينة .. شريفة ١٢

« وكانت خديجة امرأة حازمة لبينة شريفة .. »
هذه عناصر مكونات شخصيتها ..
حازمة ١٢. تدير الأمور في حزم وعزم .. لا تسب ولا
إهمال ..
لبينة .. سريعة الفهم .. سريعة الإدراك .. تمتاز بذكاء
خارق ..
شريفة .. فهي من أعلى نساء قريش نسباً .. وهي شريفة
الحصل .. تنأى عن سفساف الأمور .. وتسعى إلى أعاليتها ..

وهذه كلها صفات لازمة .. ومطلوب توافرها في المرأة التي
سوف ترشحها الأقدار لتكون زوجة للنبي القادم !!

أعظم نساء قريش شرفاً ١٢

كانّ المطلوب هو البحث عن امرأة .. على أن تكون خبير
امرأة في قريش .. لتصبح زوجاً .. لخير رجل في قريش ..
فكانت خديجة .. خير امرأة في قريش ..
هي التي تصلح زوجة .. لخير رجل في قريش .. محمد ..
الأمين ..

وسارت الأمور .. لتحقيق ذلك الهدف
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ ﴾ ..

نعم .. إنه التدبير الإلهي .. الحكم !!
« فلما أخبرها ميسرة .. بعثت إلى رسول الله .. ﷺ ..
فقال له :

« إني قد رَغبتُ فيك .. لِقرابتك مني .. وشرفك في قومك .. وأمانتك عندي .. وحسنُ خُلُقِك .. وصِدق حديثك .. » ..

إنها تبحث عن أعظم رجل في قريش .. تبحث عن الرجل الذي يوازيها في المحاسن .. ليكون نداءً لها .. أهلاً لزواجها ..

فوجدته .. بل وجدت أعظم مما كانت تتصور ..

فهو أشرف قومه نسباً ..

وأعظمهم أمانة .. (الأمين) ..

وأحسنهم خلقاً ..

وأصدقهم حديثاً ..

« ثم عرضت عليه نفسها .. »

« وكانت أوسط نساء قريش نسباً .. »

« وأعظمهم شرفاً .. »

« وأكثرهم مالا .. » ..

فالتقت في زواجهما .. المحاسن بالمحاسن ..

كل أولئك كان عند ربك مقدوراً !!

فولدت .. اولاده كلهم ..

الا ابراهيم ؟

« ولدت له خديجة غلامين .. واربع بنات .. »

فما الاشارة من هذا ؟

الاشارة أنها سيدة ودود وكدود .. وهاتان الصفتان هما خير
صفات الزوجة الصالحة ..

وكانت من صفات خديجة ..

فقد ثبت أنها ولدت لمن تزوجها قبل رسول الله .. صلى الله
عليه وسلم ..

« وكانت خديجة .. قبل رسول الله .. ﷺ .. تحت أبي
هاله بن زُرارة .. »

« ثم خلف عليها .. بعد أبي هاله .. عتيق بن عابد .. »

« فولدت له « هند بنت عتيق » .. »

وقد ورد كذلك انها ولدت لأبي هالة ..

« هند بنت أبي هالة .. وهالة بن أبي هالة ، ..

« فهند بنت عتيق ..

« وهند .. وهالة .. ابنا أبي هالة .. كلهم إخوة اولاد

رسول الله .. ﷺ .. من خديجة . ،

ثم ماذا ١٤

ثم كانت الذرية الطاهرة فيما بعد .. من نسل خديجة !!

اعظم لحظة في حياتها ١٥

تقدم أن اعظم لحظة في حياتها . كانت حين استقبلت مفاجأة
الوحي .. وقالت :

« كلا .. والله .. لا يُخزيك الله أبداً ، ..

ولكن الجديد هنا هو : ما هي شخصية خديجة .. في ضوء

هذا المشهد ١٥

يدلّ هذا المشهد على أنها شخصية قوية غاية القوة ..

« فرجع بها رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يرجفُ
فؤاده .. فدخل على خديجة .. فقال زملوني .. فزملوه حتى
ذهب عنه الروع .. وقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خَشِيتُ
على نفسي .. »

« فالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً .. إنك
لتصل الرحمَ .. »

الخ ..

ها هنا قوة الشخصية .. لم تتزلزل .. لم ترتجف .. لم تتوهم
أوهاماً كما هي عادة النساء ..

ولمّا ثبات وتثبتت .. وتأكيد وتبشير لرسول الله .. صلى الله
عليه وسلم ..

ثم أتبعته ذلك كله بما يدلّ على رجاحة عقلها .. وأنها حقاً
امرأة لبيبة ..

« وانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل .. »

« يا ابن عمّ .. اسمع من ابن أخيك ، .. »

هكذا تصرفت سريعاً !!
عقل راجح .. وحزم في الامور !!

قوة عقلية خارقة ؟

عن خديجة أنها قالت لرسول الله .. ﷺ :
« يا ابن عم .. هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك الذي يأتيك
إذا جاءك ؟
« قال : نعم ..
« فبينما رسول الله .. ﷺ .. عندها .. إذ جاءه جبريل ..
« فقال رسول الله .. ﷺ : هذا جبريل قد جاءني ..
« فقالت : أترأه الآن ؟
« قال : نعم .
« قالت : اجلس على شقي الأيسر ..
« فجلس ..

« فقالت : هل تراه الآن ؟ »

« قال : نعم .. »

« قالت : فاجلس على شقي الأيمن .. »

« فجلس .. »

« فقالت : هل تراه الآن ؟ »

« قال : نعم .. »

« قالت : فتحول فاجلس في حجري .. »

« فتحول رسول الله ﷺ .. فجلس .. »

« فقالت : هل تراه ؟ »

« قال : نعم .. »

« قال : فتحسرت (قعدت حاسرة مكشوفة الرأس) والقت

خمارها .. »

« فقالت : هل تراه ؟ »

« قال : لا .. »

« قالت : ما هذا شيطان .. إن هذا لملك يا ابن عم .. اثبت

وأبشر .. »

» ثم آمنت به ..

» وشهدت ان الذي جاء به الحق . « !!

★

أقول .. هذه قصة خطيرة جداً .. في فَمِ شخصية خديجة ..
إنها قامت باختبار معلمي .. بلغة اليوم .. لتتأكد بنفسها هل
الجاتي مَلَك أم شيطان ..
ثلاث مرات .. تطلب من رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .
أن يجلس ..

» اجلس على شِئتي الأيمن ..

» فاجلس على شِئتي الايمن ..

» فتحوّل .. فاجلس لي «جوي» ..

وفي كل مرة تسأله : هل تراه الآن ؟

ورسول الله .. ﷺ .. يجيب في كل مرّة : نعم !!

ثم ألقت خمارها .. وقعدت مكشوفة الرأس ..

فقلت : هل تراه ؟

قال : لا ..

فاستدلت بعقريتها .. وبالتجربة العملية التي لا تكذب .. على
ان الذي يأتي إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مَلَكٌ وليس
بشيطان !!

« ما هذا شيطان .. إن هذا مَلَكٌ يا ابن عمِّ .. اثبت
وابشر ... »

وتأكد خديجة أنه مَلَكٌ .. وما هو بشيطان .. حين اختفى
من المجلس عندما جلست مكشوفة الرأس .. لأن الملائكة لا تطلع
على العورات !

اختبارات معملية .. ونتائج عملية .. واستنتاجات منطقية ..
ليس هذا دليل العبقرية ١٢

اثبت .. وابشر ١٢

أن تتأكد خديجة أن الذي يأتي مَلَكٌ وليس بشيطان .. قد

يكون هذا شيئاً ممكناً من امرأة ممتازة عقلاً وتفكيراً ..
ولكن الذي يثير الدهشة حقاً .. أن تبادر لفورها إلى الايمان ،
برسول الله .. ﷺ ..

« ما هذا شيطان ..

« إن هذا الملك يا ابن عم ..

« اثبت !!

« واهشر !!

« ثم آمننت به !!

« وشهدت ان الذي جاء به الحق ، !!

ولا تحسبن أن هذه المواقف ممكنة لأي بشر .. كلاً .. فإنها
تؤمن بشيء لم يسبقها اليه أحد .. وهذا يحتاج إلى قوة خارقة ..
توازي القوى المضادة للايمان .. توازي قوة الناس جميعاً آنذاك ..
حيث لم يكن مؤمناً على وجه الأرض إلا خديجة !!
وأعجب وأعجب ..

ان تثبت رسول الله .. ﷺ .. وان تبشره ..

« اثبت .. واهشر !!

فهل في النساء مثل خديجة ؟

فَرَجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا ۱۲

«وكانت خديجة أولَ مَنْ آمَنَ بالله ورسوله ..

» وصدقَ بما جاءَ به ..

» فخَفَّفَ اللهُ بِذلكَ عن رسولِ اللهِ .. ﷺ ..

» لا يسمعُ شيئاً يكرهه من رَدِّهِ عليه .. وتكذيبِ له ..

فيحزنه ..

» إلا فَرَجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا ..

» إذا رجعَ اليها تُثَبِّتَهُ .. وتخَفِّفَ عَنْهُ .. وتصدَّقَهُ ..

» وتهونَ عليه أَمْرُ الناسِ .. رضي اللهُ عنها . »

★

أقول .. هذا أخطرُ دورٍ لخديجة في حياة رسولِ اللهِ ..

ﷺ ..

فردٌ .. واحدٌ .. لا ثاني له ..

حمّله الله .. أثقل تكليف يُلقى على بشر ..

لا أحدَ من حوله .. يؤمن به .. أو يُصدّقه ..

فمتقدّم تلك المرأة اليه .. وهو وحده ..

وحيداً ١٢ لا يجد من يُصدّقه من الناس ..

فتأتي سيدة الاسلام الأولى .. فتؤمن به .. وتصدّق بما

جاء به ..

ويشعر .. ﷺ .. لأول مرة .. أنّ هناك بشراً

يُصدّقه !!

عليك سلام الله .. يا أمّاه .. يا أم المؤمنين ..

حين آنست رسول الله .. ﷺ ..

وحين خفقت عنه ..

وحين صدّقت بما جاء به !!

لماذا بيتها في الجنة ..

لا صَخَب فيه ولا نصب ١٩

كما جعلت بيتها في الدنيا .. جنة .. لا صَخَب فيها ولا
نَصَب ..

فإن الجزاء من جنس العمل .. جعل الله بيتها في الجنة .. لا
صخب فيه ولا نصب !!

وهذا دور آخر خطير .. قامت به خديجة .. في حياة
رسول الله .. ﷺ ..

خمساً وعشرين سنة ، جعلت فيها بيتها جنة وارفة الظلال ،
فلا ضجيج ولا لصخب .. ولا نَصَب - أي تعب - يصيب
رسول الله .. ﷺ .. في بيتها .. وإنما هي تحمل عنه متاع
الحياة الزوجية وهمومها ..

ما أعظم الدور الذي قامت به خديجة .. في حياة رسول الله ..
ﷺ ..

فهي تعمل دائماً ليكون أسعد زوج ..
وهو حريص أن يجعلها أسعد زوجة ..
فلما أكرمه الله بالنبوة .. كانت أشد حرصاً عن ذي قبل ..
على تحقيق الجو الملائم لتلك المرحلة الخطيرة ..
فزادت من حفاوتها .. برسول الله ﷺ ..
وزادت من السكينة اللازمة لتنزل الوحي .. ولقاء
الملائكة ..
فاعطاها الله بدلاً من بيتها في الدنيا .. الذي هو بيت
رسول الله ﷺ ..
بيتاً في الجنة من قصب .. لا صخب فيه ولا نصب !!
وهل جزاء الإحسان ، إلا الإحسان ١٢
إشارة جميلة جداً ١٢
خديجة جعلت بيتها مدة خمس وعشرين سنة .. جنة لا تسمع
فيها صخباً ، ولا تحس فيها بنصب ..
وكل ذلك كان منها عن حبٍّ وتضحية وإخلاص ..
وكان لذلك أكبر الأثر في حياة زوجها ﷺ .. وأداء الرسالة
التي أمره الله بإبلاغها .
فأثابها بدلاً من الخمس وعشرين سنة .. نعيماً أبدياً ..

وبدلاً من بيتها من الطين والحجارة .. بيتاً من قصب ، من
لؤلؤ مجوف ..

وبدلاً من السكون والسكينة ، في بيتها الدنيوي .. بيتاً لا
صخب فيه ولا نصب !!

احدى الكمالات الاربع ؟

عن ابن عباس قال :

« خطب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. في الأرض أربع
خطوط ..

» قال : أتدرون ما هذا ؟

« قالوا : الله ورسوله أعلم .

« فقال رسول الله .. ﷺ :

« أفضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد ..

« وفاطمة بنت محمد ..

« ومريم بنت عمران ..

« وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون . »

[مسند الإمام أحمد]

أما خديجة .. فهي ما علمت وقرأت ..
عبقرية في اختيار محمد .. ^{صلى الله عليه وسلم} زوجها لها ..
القت بأشراف قريش بعيداً .. وعرضت نفسها عليه ..
فأثبتت بذلك عبقريتها في اختيار الرجال !
وعبقرية في التمييز بين الحق والباطل ..
القت بمعتقدات قومها كلها .. وآمنت بالله ورسوله .. قبل أن
يؤمن بذلك أحد على ظهر الأرض !!
وعبقرية في تحويل بيتها إلى معبد يوج بامواج الايمان ..
فبدأت بنفسها فأمنت ..
ثم دفعت بناتها الأربع فأمن ..
وآمن علي بن أبي طالب ..
وآمن زيد بن حارثة ..
فتحول البيت إلى معبد .. على رأسه رسول الله .. صلى الله
عليه وسلم ..
هي وبناتها الأربع مؤمنات ..
وعلي بن أبي طالب .. أول صبي آمن ..
وزيد بن حارثة .. أول من آمن بعد علي في البيت

الكريم ..

فتحول البيت النبوي إلى معبد .. يوج بالايان موجا ..
كما تتلأأ عبقريتها في تثبيتها لرسول الله .. صلى الله عليه
وسلم :

« اثبت وابشر » ..

اني رزقتُ حبها ١٩

ها هنا مفتاح خطير .. من مفاتيح الشخصية ..

أن رسول الله .. ﷺ .. كان يُحبها ..

ونص الحديث :

عن عائشة قالت :

« ما غرْتُ على نساء النبي .. ﷺ .

« إلا على خديجة .. وإني لم أدركها ..

« قالت : وكان رسولُ الله .. ﷺ .. إذا ذبح الشاة فيقولُ :

أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ..
« قالت : فاغضبته يوماً .. فقلت : خديجة ..
« فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : إني قد رُزقت
حبها . »

[أخرجه مسلم]

ومن حيث أن النبي ﷺ .. لم يتزوج على خديجة حتى
ماتت ..

فمعنى هذا أن خديجة .. منفردة .. ظفرت بحُب النبي ﷺ ..
لها .. مدة خمس وعشرين سنة ..

ومن حيث أن النبي ﷺ .. كان يذكرها كثيراً بعد
ماتها ..

فمعنى هذا أن خديجة .. كانت أحب نساؤه إليه .. حية ..
وميتة ..

أما في حياتها .. فقد انفردت بحبه .. لم يشركها في حبه أحد
من النساء ، حيث لم يتزوج عليها حتى ماتت ..

وأما في مماتها .. فكانت أحب إليه ، وكان حبه إياها .. يثير
غيرة عائشة ..

عن عائشة قالت :

« ما غرْتُ على امرأةٍ .. ما غرْتُ على خديجة ..
« ولقدْ هَلَكْتُ قبل أن يتزوَّجني بثلاثِ سنينَ ..
« لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ..
« ولقدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ
في الْجَنَّةِ ..
« وإنْ كَانَ لِيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِيَهَا إِلَى خِلَائِهَا .
[أخرجه مسلم]

وفي هذا الحديث دلائلُ حُبِّه .. ﷺ .. لخديجة . بعد موتها ..

فإن علامة الحبِّ .. كثرة ذكر المحبوب ..

وكانت عائشة تغار من خديجة .. بعد موتها .. ورغم أنها لم تُدرِكها ..

لأنها تشعر أن النبي .. ﷺ .. ما زال على حُبِّها .. رغم أنها قد ماتت !!

وهذا هو أعلى الحبِّ ..

الحبُّ الذي يستمر بعد وفاة المحبوب ، بل يزيد !!

لماذا أحبها أكثر ؟

إذا قال .. ﷺ :

إني رُزقتُ 'حبها' ..

تحتم أن نسأل : لماذا أحبها ، وظلّ يذكرها ويشني عليها
بعد مماتها ؟

الجواب مكنون في الحديث الآتي :

عن عائشة قالت :

« كان رسول الله .. ﷺ .. لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر
خديجة

» فيحسن الثناء عليها ..

« فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتني الغيرة ، فقلت : هل كانت
إلا عجوزاً .. فقد أبدلك الله خيراً منها ؟

» فغضب حتى اهتز 'مقدم' شعره من الغضب ..

« ثم قال :

« لا .. والله ما أبدلني الله خيراً منها ..

« آمَنْتُ إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ..

« وَصَدَّقْتَنِي وَكَذَّبَنِي النَّاسُ ..

« وَوَأَسْتَنِي فِي مَا هَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ..

« وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا أَوْلَادًا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ ..

« قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا أَذْكَرُهَا بِسَيِّئَةٍ

أَبْدَأُ . ١١ »

اقول .. 'يُستنبط من قوله :

(والله ما أبدلني الله خيراً منها) ..

ان خديجة أفضل نساء النبي ﷺ .. على الإطلاق .. حيث

ان النبي ﷺ .. 'يُقَسِّم ما أبدله الله خيراً منها .. إذن هي خير

نسائه ، حيث لا احد منهن خيراً منها ١١

ويستنبط من قوله :

(آمَنْتُ إِذْ كَفَرَ النَّاسُ) ..

أنها أوّل من آمنَ على الإطلاق .. لم يسبقها رجل ولا امرأة ،
وانّ سبقها هذا إلى الايمان به ﷺ .. زاده حبّاً لها ، فإن الشدائد
تكشف حقيقة المعادن .. وها هي خديجة تسارع إلى تصديقه ..
وتسبق الناس جميعاً إلى ذلك ..

لم تتلشم .. لم تترث .. لم تتفكر .. ولكن فوراً ، وفي قوّة
وثبات واستعداد للتضحية بكل ما تملك في سبيل الله ، وفي تأييد
رسول الله .. زوجها الذي تحبه من قبل ان يُبعث ، وازدادت له حبّاً
بعد أن بُعث !!

لقد كانت خديجة عظيمة الحبّ لحمد ، قبل ان يُبعث ..
تحبه من كل قلبها ، ويملك عليها فؤادها ..

فلما أنبأها أنّ الله قد بعثه رسولا ... آمنت به من فورها ،
لأنها تحبّه حبّاً شديداً .. وتعلم بالتجربة طيلة خمس عشرة سنة ،
أنه صادق ، أمين .. لم يكن عليها قطّ ، وأنه على خُلُق عظيم ، لم تسمع
ولم تشهد خُلُقاً مثل خُلُقه ..

ومن لم يكذب على الناس .. مستحيل أن يكذب على الله ..
ومن كان هذا خُلُقه مستحيل أن يفترى على الله كذباً ..
فآمنت به لفورها يدفعها إلى الايمان سببان ..
الأول .. أنها تحبّه أكثر من حبّها لنفسها ..

الثاني .. أنها تعلمه علم اليقين .. انها تعلم : فمن محمد ١٢
ما جرّبت عليه كذباً قط ، ولا رأت منه عيباً قط .. فمن يكون
النبيّ إن لم يكن محمد ١٢

ولذلك صدّقه فوراً ، وسجّل لها ذلك النبيّ .. صلى الله
عليه وسلم :

(وسدّقتني وكذّبتني الناس) ..

ويُستنبط من ذلك ان موقفها حين صدّقه أوّل الناس حيث
كذّبه الناس .. زاده ﷺ .. حباً لها على حبّ ١١
وهكذا تزوجته .. ﷺ .. عن حبّ ..
ودليل ذلك قولها له :

« إني قد رَغبتُ فيكَ » ..

وتزوجها رسول الله .. ﷺ .. وعاشرها خمساً وعشرين سنة ،
وهو يحبها :

« إني قد رُزِقتُ حبّها » ..

زوحان متحابان ..

فلما بعثه الله رسولا ، ازدادت له حُبًا .
 فلما اندفعت إلى الايمان به .. ازداد لها حُبًا ..
 وهكذا مع الأيام والليالي ، تبارك ذلك الحب القائم بينهما ..
 وأثر وأينع ..
 حتى إذا ماتت خديجة ، بقي حُبها حيًا يتجدد مع الأيام ..
 « كان رسول الله .. ﷺ .. لا يسكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة .. فيحسن الثناء عليها .. » ١١

خيرُ نساءها خديجة ١٢

عن عليٍّ .. رضي الله عنه ..
 « عن النبي .. ﷺ .. قال :
 « خيرُ نساءها مرثية ..
 « وخيرُ نساءها خديجة » ..

[أخرجه البخاري]

قالوا : الضمير (الأول) في « نساءها » يرجع إلى الأمة التي كانت فيها مريم عليها الصلاة والسلام ..

و (الثاني) إلى هذه الأمة .. ولهذا كرر الكلام تنبيهاً على أن « حكم كل واحدة منها غير حكم الأخرى » ..

وقيل : المراد نساء الدنيا .. وإن الضميرين يرجعان إلى الدنيا ..
أي : خير نساء الدنيا ..

أقول .. على القول الأول .. خديجة خير نساء الأمة ..

وعلى القول الثاني .. خديجة خير نساء الدنيا ..

وسواء هذا أو ذاك .. فإنها ارتفعت إلى هذا المقام .. بأنها أول خلق الله أسلم .. لم يسبقها رجل ولا امرأة إلى الاسلام !!

يا رسول الله .. اين أمي .. خديجة ١٩

عن عائشة .. رضي الله عنها .. قالت :

« ما غرّتُ على امرأةٍ للنبيّ .. ﷺ .. ما غرّتُ على خديجة .. »

« هلك قبل أن يتزوّجني .. »

« لما كنتُ اسمعُ يذكرُها ..
« وأمره الله أن يُبشِّرَها ببيتٍ من قُصبٍ ..
« وإن كانَ لِيَذْبَحُ الشاةَ فيُهدي في خلائلها منها ما يسعهنَّ . »
[أخرجه البخاري]

« بيتٍ من قُصبٍ » يقال : القصب هنا اللؤلؤ المجوف الواسع
كالقصر المنيف ..

« وقد جاء في رواية عبد الله بن وهب : قال أبو هريرة : قلت :
يا رسول الله وما بيت من قُصب ؟ قال : بيت من لؤلؤة مجوفة .. »

وروى أبو القاسم بن مطير - بإسناده - عن فاطمة .. رضي الله
تعالى عنها ، سيدة نساء العالمين ، أنها قالت :

« يا رسول الله .. أين أمي خديجة ؟
« قال : في بيت من قُصب ، لا لغو فيه ولا نصب ، بين مريم
وآسية امرأة فرعون ..

« قالت : يا رسول الله : أمن هذا القُصب ؟

« قال : لا .. من القُصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت » II
وقالوا : كيف بشرها ببيت وأدنى أهل الجنة منزلة من يعطى مسيرة

الف عام في الجنة ، كما في حديث ابن عمر عند الترمذي ١٢

قيل : ببیت زائد على ما أعده الله لها من ثواب اعمالها ..

وقيل : إنه من باب المشاكلة ، لأنها كانت ربة بيت في الاسلام ،
ولم يكن على وجه الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وجزاء
الفعل يذكر بلفظ الفعل وإن كان أشرف منه .. كما قيل

« من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة » ..

لم يرد مثله في كونه مسجداً ولا في صنعته ، ولكنه قابل البنیان
بالبنیان ..

« كما بنى .. بنى له .. » ١١

ان الله هو السلام .. وعنى جبريل السلام ..

وعليك يا رسول الله السلام ..

ورحمة الله وبركاته ١٢

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال :

« أتى جبريلُ .. النبي . ﷺ .. فقال :

« يا رسول الله .. هذه خديجةٌ قد أتتُ معها إناءٌ فيه إدامٌ
— أو طعامٌ أو شرابٌ —

« فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام ..

« من ربها ..

« ومني .

« وبشرها ببيتٍ في الجنة من قصبٍ لا صخبٍ فيه ولا
نصبٍ .

[أخرجه البخاري]

قالوا : وللنسائي — من رواية أنس —

« قال : قال جبريل للنبي .. ﷺ :

« إن الله يقرئ خديجة السلام ..

« يعني : فأخبرها ..

« فقالت : إن الله هو السلام ..

« وعلى جبريل السلام ..

« وعليك يا رسول الله السلام .. ورحمة الله وبركاته . » ١١

السلامُ عليكِ .. يا أمّ المؤمنين ..
السلامُ عليكِ .. يا من تسلّم عليكِ .. ربّ العالمين ..
السلامُ عليكِ .. يا من تسلّم عليكِ .. جبريلُ الأمين ..
السلامُ عليكِ .. ورحمة الله وبركاته !!

— تم —

فهرس

صفحة

٧	مقدمة
٩	هذه .. هي خديجة ١؟
٢٣؟	الخطوط العريضة .. من حياة أم المؤمنين .. ١ - ماذا قبل البعثة ؟
٥٧	الخطوط العريضة .. من حياة أم المؤمنين .. ٢ - البعثة ؟
١١٥	نبيان عظيمان .. في زواجهما .. يتشابهان ١؟
١٢٩	كيف تمَّ .. الزواج .. المبارك ١؟
١٤٥	خمس عشرة سنة .. في ظلال حياة .. زوجية سعيدة ١؟
١٥٥	خديجة عليها السلام .. في أعظم .. لحظة في حياتها ١؟
١٧١	ثورة .. قریش .. المضادة ١؟
	عندما قالت خديجة .. لرسول الله .. ﷺ :

صفحة

١٧٧	لاني لأرجو ان تكون .. نبيّ هذه الأمة ١٢
١٩٩	خديجة .. اول مَنْ تَوْضَا .. وأوّل مَنْ صَلَّى ١٢
٢٠٧	أهل البيت الكريم .. يؤمنون تباعا .. بعد خديجة .. عليها السلام
٢١٧	أمّ المؤمنين .. خديجة .. عليها السلام .. في قلب الاحداث
٢٢٥	خديجة عليها السلام .. تشهد هجرة رُقِيّة ، مع زوجها عثمان .. إلى الحبشة ١
٢٣٢	خديجة عليها السلام .. صامدة في المقاطعة والحصار .. بجوار زوجها العظيم .. ﷺ ١١
٢٦٣	هل شهدت .. خديجة عليها السلام ، معجزة الاسراء والمعراج ١
٣٠٣	وفاة .. ابي طالب ١١
٣١٩	وفاة .. ام المؤمنين خديجة .. عليها السلام ١
٣٥٧	شخصية .. خديجة .. عليها السلام ؟
٣٦٥	فهرس

ماذا في هذا الكتاب !!

فيه حياة أول من آمن على الإطلاق !
فيه حياة من قال عنها رسول الله ..
ﷺ : « والله .. ما أبدلني الله خيراً
منها .. آمنت بي إذ كفر الناس ،
وصدقني إذ كذبني الناس . وواسطني في
مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الولد
إذ حرمني أولاد النساء » !

وقال : « .. خيرُ نساءها خديجة »

فيه « حياة أم المؤمنين خديجة » ،

عليها السلام !!

To: www.al-mostafa.com